المجلة الشهرية

الإشراق

مارس ٢٠٢٥م

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف الأعلى
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. غطريف شهباز الندوي

المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ۔ (البقرة:١٨٣)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

المجلة الشهرية

الإشراق

الصادرة من الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الثاني | مارس ٢٠٢٥م | رمضان ١٤٤٦هـ

المشرف الأعلى
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

المجلس التحريري
ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
محمدعامركزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش

الفهرس

الشذرات

كلمة العدد	مدير التحرير للإشراق العربية	3
العلم والاستدلال	جاويد أحمد غامدي	6
الإيمان بالغيب	جاويد أحمد غامدي	8
موقف الأستاذ غامدي من "شق القمر" (١)	سيد منظور الحسن	10

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :١-١٥ (٢)	جاويد أحمد غامدي	12

المعارف النبوية

الأحاديث	جاويد أحمد غامدي	14

الدين والمعرفة

مقطتف من كتاب ميزان (١)	جاويد أحمد غامدي	16
استقبال شهر رمضان	عثمان فاروق	20

www.ghamidi.org
مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

آثار الصحابة

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم (٥) أ. د محـــمد عمار خان ناصر 24

وجهة النظر

موقف الأستاذ الغامدي من قضية "نزول المسيح"(٢) سيد منظور الحسن 30

أسباب الضلال الفكري محمد حسن إلياس/ شاهد رضا 37

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي 41

عظمة كلمة الإسلام محمد ذكوان الندوي 47

المختارات

أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟ الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهي 50

مقتطف من شرح البخاري (١)

كلمة سماحة الشيخ ابي الحسن الندوي في ندوة الإمام الفراهي 57

بحث في سبب نزول قوله تعالى "اِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَاٍ"(٣) 62

العلامة شبير أحمد أزهر/ د.غطريف شهباز الندوي

الدراسات

دراسة سنن ابن ماجه (٢) د. عمار خان ناصر/ د. سيد مطيع الرحمن 68

التصور الديني للّحية (٢) محمد حسن إلياس/ شاهد رضا 78

في السيرة

حياة أمين (١) نعيم أحمد بلوش 84

العلامة الطاهر بن عاشور: حياته وخدماته العلمية د.غطريف شهباز الندوي 94

الأحداث

نشرة أخبارية "المورد أمريكية" شاهد محمود 99

د. غطريف شهباز الندوي

كلمة العدد

أيها القارئ الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحن إذ نتقدم بالشكر والثناء على الله سبحانه ونحمده على ما وفقنا إليه من إصدار العدد الأول من المجلة العربية (الإشراق) ، ونتقدم بجزيل الامتنان لقرائنا الكرام على آرائهم القيّمة وتوجيهاتهم السديدة، التي تسهم في إثراء محتوى المجلة وتطوير شكلها، كما تساعدنا في تقويم مسارنا نحو تحقيق خطوات متقدمة تضمن تطورها ونموها المستمر.

واستجابةً لاقتراحات الأصدقاء، نطلق في هذا العدد الثاني باب الأبحاث المستقلة، الذي سيصبح ركيزةً أساسية في مجلتنا بإذن الله، ليضفي عليها مزيدًا من العمق والتنوع.

ندرك جميعًا أن العالم الإسلامي يمر في حاضره بمرحلة دقيقة، تعج بالتحديات على مختلف المستويات، من قضايا معقدة إلى أوضاع متأزمة، مثل القضية الفلسطينية ومعاناتهم وقضايا الأقليات المسلمة في البلدان ذات الغالبية غير المسلمة. وقد أشار أخونا الفاضل محمد حسن إلياس، في العدد الأول، وببراعة إلى خطورة هذا الوضع.

فقد أدت التقديرات الخاطئة وسوء التخطيط من بعض منظمات المقاومة في فلسطين المحتلة إلى نتائج كارثية، لم تقتصر على تدمير غزة العزة بالكامل جراء

القصف الإسرائيلي الهمجي، بل وضعت أكثر من مليوني فلسطيني في مواجهة مصيرٍ أكثر قسوة، حيث يواجه أهل غزة المثابرون الصابرون المرابطون والصامدون للعدوان المستمر التهجيرَ القسري للمرة الثانية في تاريخ نكبتهم الطويلة، في ظل دعم متواصل شرس وغير مشروط من الولايات المتحدة الأمريكية للطرف الإسرائيلي المحتل.

ويخبرنا التاريخ الحديث أن المواجهة المسلحة مع القوى الغربية لم تثمر يومًا عن نتائج إيجابية. وعلينا أن ندرك أن مستقبلنا لن يكون مزدهرًا إلا إذا أولينا اهتمامًا حقيقيًا بالوعي العلمي، والتقدم التكنولوجي، والنهضة الاقتصادية. ويجب أن ندرك إدراكا جيدا أنه ما لم نكتسب الوعي العلمي، وما لم نحرز تقدماً كبيراً في العلوم والتكنولوجيا، لن يكون اقتصادنا قوياً .وما لم نفقد الرغبة في الاختراعات والاكتشافات العلمية الجديدة، فلن تأتي ثورة تعليمية وعلمية جديدة في مجتمعنا .وحتى ذلك الحين، لن يكون هناك جدوى من مواجهة الدول المتقدمة في العالم .وإذا أصررنا على منهجية الكفاح المسلح والنضال العنفي سنستمر في الخسارة، ولن يتغير الوضع أبدًا. وقد رأينا في التاريخ الحديث أنه تعلم الآخرون هذا الدرس جيدًا ونحن تأخرنا فيه فعلى سبيل المثال بعد عام ١٨٧٧ المصيري، عندما فشل النضال المسلح من أجل الحرية، تركت الهند أيضًا مسار النضال المسلح وتبنت طرقًا أخرى ذات مغزى أدت إلى استقلال البلادأخيرًا. فيدل ذلك إن دل على شيئ أنه ما لم تتولد لدينا رغبة حقيقية في الابتكار والاكتشاف، لن نشهد نهضة علمية وتعليمية حقيقية، وسنبقى بعيدين عن تحقيق تطور ملموس في عالم اليوم.

لقد رأينا كيف أدركت أمم أخرى كدولةجنوب أفريقية مثلاً هذا الدرس في الوقت المناسب و اتخذت مسارًا مختلفًا ونجحت في تحقيق مقاصدها بأساليب أخرى أكثر فاعلية. بينما تأخرنا نحن في استيعابه. كما أن التاريخ يشهد أيضًا أن المسلمين كثيرًا ما فقدوا مكتسباتهم بسبب استراتيجيات غير مدروسة وسرديات تغلب عليها العاطفة. لذا، فمن الحكمة أن نعيد النظر في أساليبنا، ونعمل على اتخاذ قرارات تفضي إلى نتائج إيجابية ومستدامة.

إن التعليم، والتنمية الاقتصادية، والتقدم في العلوم والتكنولوجيا، وتعزيز

الوعي السياسي، هي الركائز الأساسية التي يجب أن تنصبّ عليها جهود المسلمين، لا سيما في البلدان التي يعيشون فيها كأقليات. كما ينبغي أن يكون وجودنا بين الأغلبية غير المسلمة عامل عطاء وإبداع ومنبع استقرار وسلام، لا مصدر قلق واضطراب لها. فلا ينبغي أن يشعر المواطنون غير المسلمون بالخوف من مستقبلهم بسببنا، ولا أن تُربك تحركاتنا المشهد السياسي والاجتماعي في تلك الدول. فهذا هو السبيل الوحيد لضمان بقائنا واستمرار وجودنا، كي نتمكن من أداء رسالتنا الحضاري بحرية، وبما ينسجم مع قيمنا الإسلامية الأصيلة. ولكي نقوم بواجبنا الدعوي المنوط بإرادتنا الحرة وشخصيتنا الإسلامية.

وفي هذا العدد الثاني من (الإشراق) ، وكما في العدد الأول، نقدم للقارئ العربي مختارات من النسخة الأردية لعدد فبراير، إلى جانب بعض الأبحاث المستقلة. وسنواصل في المستقبل العمل بجدية أكبر لجعل مجلتنا أكثر حرية في طرح مواضيعها، وأكثر دقة في انتقاء مقالاتها وبحوثها، بما يضمن تقديم محتوى متميز ومبدع. كما نرحب بجميع الملاحظات النقدية من قرائنا الأعزاء، ونعد بأخذها بعين الاعتبار في مسيرتنا نحو التطوير المستمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين

أ. د محمد غطريف شهباز الندوي

جاويد أحمد غامدي

العلم والاستدلال

منذ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض، لم يكن أمامه سوى مجالين للمعرفة: نفسه وذاته، وعالم المادة من حوله. وعند تأمل هذين المجالين، نجدهما يتجليان في بُعدين أساسيين: الكينونة، وتجلي القوة فيها. إن اللغة ذاتها، بمفرداتها وقواعدها، تعكس هذه الحقيقة في جميع أنحاء العالم، إذ تقوم على ثنائية الأسماء والأفعال التي تصف الموجودات وأثرها في الوجود. أما العقل، فهو المنحة الإلهية التي خُصّ بها الإنسان، وهو وسيلته لفهم ذاته ومحيطه، وبه يتبوأ مكانته المتميزة بين المخلوقات.

وكما أن العقل هو نافذته إلى المعرفة، فإن الحواس هي أبوابه التي تُدخله إلى رحاب الفهم والإدراك. فالحواس الظاهرة تربط الإنسان بعالم المادة، بينما الحواس الباطنة توصله إلى عمق ذاته. وما يصل إلى العقل عبر هذه الحواس، من حقائق وجودية، لا يحتاج إلى برهان أو تحليل، فهي تُدرك بالفطرة، كما يُشرق النور فيملأ الآفاق، ولهذا سُمّيت "الحقائق الوجودية"، وهي حجر الأساس لكل معرفة بشرية.

وقد بسطنا الحديث عن ماهية هذه المعرفة وتكوينها في كتابنا (مقامات) ، تحت عنوان "أساس المعرفة". فعندما يدرك العقل هذه الحقائق، يبدأ رحلته نحو كشف المجهول، مستعينًا بأداة أخرى عظيمة، هي الاستدلال، الذي يُعدّ الرافد الثاني للمعرفة بعد الإدراك المباشر.

حين يُمارس العقل الاستدلال بناءً على الحقائق الراسخة في وعيه، فإنه يصل

إلى استنتاجات تفرض نفسها بقوة المنطق: فلكل فعل فاعل، ولكل أثر مؤثر، والصفات الظاهرة في الأفعال لا بد أن تكون متأصلة في الفاعل ذاته. أما حين ينطلق العقل في استدلاله مستعينًا بالخيال، فإنه يفتح أبوابًا لعوالم لم تكن مرئية من قبل، فيرسم الفرضيات، ويستكشف أعماق النفس والمجتمع، ويغوص في أسرار العلوم، خاضعًا لاختبار الزمن بين القبول والرفض، حتى تتبلور الحقائق الناصعة.

غير أن أعظم إنجازات العقل الإنساني تتجلى في قدرته على اختراق أستار الغيب في ذاته، والنفاذ إلى أسرار المادة، حتى غدا قادرًا على نقل عرش بلقيس من اليمن إلى القدس في طرفة عين، كما استطاع أن يفتت نواة الذرة، ويُسخّر قواها، وأن ينقل صور الحياة إلى كل بيت ومجلس، حتى باتت الأدوات التي صنعها معلّمة له، تمنحه الرؤية وتهديه إلى مدارج الرقي.

لقد شهدنا هذه الإنجازات بأعيننا، ولكن من يدري أي عجائب أخرى سيكشف عنها العقل الإنساني؟ وأي خوارق ستُعرض على مسرح الوجود في المستقبل؟

ومع ذلك، فإن للعقل حدوده، فهو محكوم بحدود النفس والمادة، ولا يستطيع تجاوزهما إلا بإذن من الله، كما قرر القرآن في قوله تعالى :

يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اِنِ اسْتَطَعْتُمْ اَنْ تَنْفُذُوْا مِنْ اَقْطَارِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ فَانْفُذُوْاؕ لَا تَنْفُذُوْنَ اِلَّا بِسُلْطٰنٍ. فَبِاَيِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبٰنِ.

(الرحمن ٥٥: ٣٣-٣٤)

فالطموح العقلي، وإن كان بلا حدود، إلا أن الواقع يرسم له مداه، وأي سعي يتجاوز عالم النفس والمادة لا يكون ممكنًا إلا إذا منح الخالق للإنسان "سلطانًا"، وهو مفتاح لا يُعطى إلا لمن شاء الله أن يمنحه هذا الامتياز.

صاغه بالعربية : أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي/ عثمان فاروق

جاويد أحمد غامدي

الإيمان بالغيب

الإيمان بالغيب هو أن تفتح بصيرتك لما لا تدركه عينك، وأن تصدّق الحقائق التي لا تطالها الحواس، مستندًا في ذلك إلى نور العقل وسلامة الفطرة. فالله جلّ وعلا لا تراه الأبصار، والساعة ما زالت مستورةً عنّا، ولم نشهد جبريل وهو ينزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك، قلوبنا تؤمن بكل ذلك إيمانًا لا يعتريه شك، وعقولنا تسلّم له تسليم الواثق الموقن. والسرّ في ذلك ليس استسلامًا للمجهول، بل لأن في الآفاق والأنفس، وفي كلام الله الذي بلّغه رسوله الكريم، من الدلائل ما يجعل الشك مستحيلًا واليقين فطرةً لا محيد عنها.

نحن لا نؤمن بالغيب عن جهل، ولا نتبع سرابًا بلا بينة، بل نصدّقه بعقولٍ متأملة، وقلوبٍ واعية. أما أن يُشترط للرؤية أن تكون بالعين وحدها، فهذا قيدٌ لا يقبله العقل السليم، وإلا فكيف نؤمن بنظريات كشفها العلم ولم تدركها أعيننا؟ كيف نسلّم بوجود الذرات التي لا تُرى، والموجات التي لا تُسمع، وننكر ما أثبته الله في كتابه وما استقامت عليه العقول؟ إننا نقف تحت سماء النهار ونقرّ أن الشمس مشرقة، ليس لأننا لمسناها بأيدينا، بل لأن نورها يغمر الأرض، وشعاعها يخترق الظلمة، وهكذا شأن الحقائق التي جاءت في القرآن، فهي وإن كانت خفية عن الحواس، إلا أنها تتجلّى للعقل والوجدان بوضوح الشمس في رابعة النهار.

لقد وزنّا هذه الحقائق في ميزان الفكر، فما وجدنا فيها نقصًا ولا عوجًا، بل رأيناها تتناغم مع منطق العقل ونداء الفطرة. لهذا نؤمن بها، ونوقن أنها حق،

دون أن ننتظر أعيننا لترى ما قد شهدت به البصيرة قبل البصر.

نقله إلى العربية : أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

[١٩٨٧م]

سيد منظور الحسن

موقف الأستاذ غامدي من "شق القمر"

[مقتبس من حواره مع محمد حسن الياس]

الحلقة الأولى

فاتحة البحث

يُعد هذا البحث الذي يتحدث عن موضوع انشقاق القمر، بيانًا لموقف أستاذنا المحترم جاويد أحمد غامدي. تم استخلاصها من سلسلة فيديوهات له بعنوان إجابات على ٢٣ اعتراضًا على فكر غامدي، من الحلقات ٣٨ إلى ٣٩. وتناقش هذه السلسلة الاعتراضات الدينية التقليدية التي وُجهت عمومًا إلى أفكار وآراء غامدي في مختلف الموضوعات، والتي تُعرض كتفرّدات له في مقابل الآراء الإجماعية للعلماء كما يزعمون.

في الحقيقة، هذه الآراء هي تفسير دقيق وشائع لأبحاث متنوعة تستمد لديهم من القرآن الكريم والسنة النبوية والحديث الشريف والسيرة. وقد رفضها غامدي جزئيًا أو كليًا باعتبارها مخالفة للنصوص القرآنية والسنة وحقائق الحديث والسيرة.

وقد تم في هذه النقاشات اختيار أسلوب السؤال والجواب ، حيث قاد الحديث السيد محمد حسن إلياس. وقد قدم هذه النقاشات بأسلوب بليغ للغاية. والأستاذ غامدي، بدوره، تناول وجهة النظر التقليدية في البداية، محللًا حججها، ثم قدّم موقفه بوضوح وصراحة.

وهذا الكاتب – سيد منظورالحسن –يجمع الآن هذه النقاشات في شكل مقالات وبحوث، وقد قسّم التفاصيل إلى أجزاء ووضح النقاط الإجمالية. كما نقل اقتباسات مهمة من مؤلفات الأستاذ غامدي، مع إدراج المراجع وإحالات العلماء. والهدف هو أن تكون هذه النقاشات والأبحاث، التي كانت متاحة حتى الآن فقط بصيغتي الصوت والفيديو، متوفرة أيضًا في صيغة مكتوبة، لتسهل استفادة الطلاب والباحثين منها.

وقد تم تكليف الأخ شاهد محمود بالتعاون في مهام جمع المواد الضرورية وترتيبها والبحث والكتابة. وقد قام بذلك بمسؤولية كبيرة. وهذه المقالات تعبر عن أفكار الأستاذ الجليل وفق فهم المؤلف، مع مراجعته الدقيقة. وهي تعبر عن أفكار الأستاذ من خلال فهم هذا المؤلف، ومع ذلك فإن من حسن حظه أنها محظوظة أيضًا بمرور مراجعة الأستاذ الجليل ونظره. ونتيجة لذلك، يجري تصحيح التسامحات الملحوظة التي برزت له في الفهم والبيان جنبًا إلى جنب.

وإن صياغة المناقشات العلمية الرفيعة لأستاذنا الكريم في الموضوعات الدينية مستمدة من حواراته هو، والحصول على توجيهاته المبدئية لهذا الهدف مما يبعث على الشرف والفخر. وهذا فضل عظيم من البارئ سبحانه، وهو بالتأكيد يفوق قدرات الكاتب واستطاعاته، فالحمد لله على ذلك.

وإن عملية تشكيل سلسلة الفيديوهات المذكورة وتأليف سلسلة المقالات المبنية عليها تجري تحت رعاية "مركز غامدي للتعلم الإسلامي بأمريكا". نسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد الجماعي مؤسسيًا وأفرادًا ،آمين.

نقله إلى العربية : الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي
(يُتبع البحث)

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

الٓمّٓ ﴿١﴾ ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيْهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿٢﴾ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ ﴿٣﴾ وَالَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ ﴿٤﴾ اُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى مِّنْ رَّبِّهِمْ ۗ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴿٥﴾

اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَاَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ ۭ وَعَلٰٓى اَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۡ وَّلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿٧﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ ﴿٨﴾ يُخٰدِعُوْنَ اللّٰهَ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ۚ وَمَا يَخْدَعُوْنَ اِلَّآ اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٩﴾ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ ۙ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۢ بِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿١٠﴾ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ ۙ قَالُوْٓا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ ﴿١١﴾ اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلٰكِنْ لَّا يَشْعُرُوْنَ ﴿١٢﴾ وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا كَمَآ اٰمَنَ النَّاسُ قَالُوْٓا اَنُؤْمِنُ كَمَآ اٰمَنَ السُّفَهَآءُ ۭ اَلَآ اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلٰكِنْ لَّا يَعْلَمُوْنَ ﴿١٣﴾ وَاِذَا لَقُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا

---

[1]- ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسيرالبيان للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقله إلى العربية: د.غطريف شهباز الندوي.

قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ۖ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ۖ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

فهذه سورة الم وهي كتاب إلهي، ولا شك أنه كتاب الله، وهوالهداية لمن يخاف الله ويتقيه وهم الذين يؤمنون بالله دون أن يبصروه، والذين يقيمون الصلاة ويهتمون بها وينفقون (في سبيلنا) مما رزقناهم وقدمناه لهم والذين آمنوا بما أنزل إليك من الحق ، وما أنزل من قبلك أيضًا، وهم يؤمنون بالآخرة. فهم الذين يهتدون بهدي ربهم وهم الناجحون المفلحون (١-٥)

وعلى عكس منهم هناك ناس كفروا بهذا الكتاب، فسواء بالنسبة لأولئك الذين قرروا عدم قبول هذا الكتاب أ أنذرتهم أم لا، فلن يؤمنوا به. فإن الله قد أغلق قلوبهم (وفقًا لقانونه وشرعه) وختم على أسماعهم وآذانهم، الآن فأعينهم مغطاة، وهناك عذاب عظيم ينتظرهم يومَ القيامة. (٦-٧)

ومن بينهم أولائك (المنافقون) الذين يقولون: نؤمن الله ونؤمن بيوم القيامة، مع أنهم لا يؤمنون بأي منها. إنهم يريدون خداع الله والمؤمنين،والحقيقة هي أنهم يخدعون أنفسهم فقط، لكنهم لا يدركون ذلك. كان هناك مرض الحسد في قلوبهم، لذلك زاد الله مرضهم ذلك الآن، وعقاباً لجريمتهم أنهم كانوا يكذبون هناك عقاب مؤلم لهم. وعندما يقال لهم: لا تفسدوا (بعملكم هذا) في هذه الأرض يجيبون: إنما نحن المصلحون، فكونوا على حذرمنهم، هؤلاء هم مثيرو الفتنة والفساد، لكنهم لا يدركون ذلك. وعندما يقال لهم: آمِنوا أنتم أيضًا كما يؤمن هؤلاء (أمامكم)، قالوا (في استكبار): هل نؤمن مثل هؤلاء الحمقى؟ فاسمعوا ، هؤلاء هم الحمقى ، لكنهم لا يعرفون. وعندما يلتقون بالمسلمين يقولون: آمنا، وعندما يصلون إلى شياطينهم في الخلوة، يقولون: نحن معكم، وكنا نمزح ونسخربالمسلمين،(ومايسخرون) الحقيقة هي أن الله يسخر منهم ويزيدهم في تمردهم (وفق شرعه) ويمهلهم كما لو كانوا يتجولون ويتيهون. (٨-١٥)

(يُتبع)

الأحاديث

انتقاها جاويد أحمد غامدي

١

وعن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

(رواه مسلم، رقم ٢٢٣٠)

٢

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ :بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». (متفق عليه واللفظ للبخاري، رقم الحديث: ٨٤٦)

٣

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كالسلسلة على صفوان، قال علي: وقال غيره: صفوان، ينفذهم ذلك، فإذا {فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا} للذي قال: {الحق وهو العلي الكبير} فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا، واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها

فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًّا؟ للكلمة التي سمعت من السماء".

(رواه البخاري، رقم ٤٧٠١)

ميزان
جاويد أحمد غامدي

ميزان

الحلقة الأولى

فاتحة الكتاب

إن الدين عند الله الإسلام فقط، وقد بيّنته في هذا الكتاب كما فهمته خلال دراسة وتحقيق ممتدين إلى ربع قرن من الزمن على أقل حد، وعليك أن تعتقد كل بيانه المحكم نعمةً من ربي الجليل أولاً وثانياً مما أخذته واستفدته من رشحات فكر أستاذنا الجليل الإمام أمين أحسن الإصلاحي. وإذا بدا لك فيه بيان سقيم فلك أن تحمّله إلى قصور علمي كما قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

كل ما أملك من دولة العشق وخزانة الطرب هو من يُمن عزيمته.

المورد لاهور
١٠ من أبريل ١٩٩٠م

ـــــجاويد

المقدمة (١)

الأصول والمبادي

الدين هوهدى الله الذي ألهمه أولًا في فطرة الإنسان وبعد ذلک أعطاه إياه بكافة تفاصيله الضرورية بواسطة أنبياءه ورُسله ثانيًا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم رُسله، ولذا فالآن إن شخصية محمد صلى الله عليه وسلم الفذة هي المأخذ والمصدر الوحيد للدين على هذه الأرض، فإنه هو الوحيد الذي من طريقه يتوفر ويتيسر لبني آدم الهدى من عند ربهم تعالىٰ إلى يوم القيامة. وإن هذا شأنه فقط أن الشيئ الذي يقرره ديناً بقوله وفعله وتقريره وتصويبه هو الذي يكون دينًا حقًا إلى يوم القيامة. كما قال تعالىٰ جل وعلا:

هُوَ الَّذِیۡ بَعَثَ فِی الۡاُمِّیّٖنَ رَسُوۡلًا مِّنۡهُمۡ یَتۡلُوۡا عَلَیۡهِمۡ اٰیٰتِهٖ وَیُزَکِّیۡهِمۡ وَیُعَلِّمُهُمُ الۡکِتٰبَ وَالۡحِکۡمَةَ. (الجمعة٦٢: ٢)

فهذا القانون والحكمة هو الدين الحق الذي يُعبر به 'الإسلام' ونبيّن مصادره ونفصلها أن هذا الدين قد بلغنا بإجماع صحابته وتواترهم القولي والعملي وانتقل إلينا عبر طريقين:

١. القرآن

٢. السنة

أما القرآن الكريم فكل مسلم مطلع على هذه الحقيقة أن هذا الكتاب قد أنزله تعالىٰ على رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو متواجد عند المسلمين منذ نزوله بكل صراحة إجماعية منهم أن هذا الكتاب هو الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ونقله إلى العالم صحابته الأبرار بطريق إجماعهم وتواترهم القولي بكل احتفاظ ومن غير أدنى تغير.

وأما السنة فنعني بها رواية الدين الإبراهيمي التي أجراها النبي صلى الله عليه وسلم بعد تجديدها وإصلاحها وبعد الإضافات العديدة إليها في متبعيه والمؤمنين به. وبما أن القرآن قد ألزمه باتباع ملة إبراهيم وكانت هذه الرواية

أيضًا من ضمن اتباع الملة الإبراهيمية. فقد قال تعالىٰ:

ثُمَّ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ اَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًاۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ.

(النحل: ١٢٣)

فالدين الذي وصل إلينا خلال هذا الطريق هو مشتمل على مايلي:

العبادات: ١. الصلاة ٢. الزكوة وصدقة الفطر ٣. والصوم والاعتكاف ٤. الحج والعمرة ٥. الأضحية وتكبيرات أيام التشريق.

التعاشر: ١. النكاح والطلاق ومايتصل بهما من أمور ٢.الحيض والنفاس واجتناب إقامة العلاقات الزوجية فيهما.

الأكل والشرب: ١. حرمة الخنزير والدم والميتة وما ذبح لغير الله، ٢. تذكية الحيوان بإسم الله.

التقاليد والآداب

١. الأكل باليد اليُمنىٰ وبإسم الله، ٢. السلام عند اللقاء ورد السلام، ٣. قول الحمد لله عند العطس وتشميت العاطس بيرحمک الله، ٤. قص الشوارب، ٥. قص شعر العانة، ٦. قص شعر الإبط، ٧. تقليم الأظفار المزادة، ٨. ختنة الأطفال، ٩. تطهير الأنف والفم والأسنان، ١٠. الاستنجاء، ١١. الاغتسال بعد الحيض والنفاس، ١٢. غسل الجنابة، ١٣. غسل الميت، ١٤. التجهيز والتكفين، ١٥. التدفين، ١٦. عيد الفطر، ١٧. عيد الأضحى.

فهذه هي السنة. وقطعي تمامًا أنه لا فرق بينها وبين القرآن الكريم اعتبارًا بالثبوت. فكما أن القرآن وصلنا بإجماع الصحابة وتواترهم القولي فالسنة أيضًا بلغتنا بإجماعهم وتواترهم العملي ولاتزال تثبت بإجماع المسلمين مثل القرآن، فلا مجال فيها لأي بحث ونزاع الآن.

ولا ريب أن الدين منحصر في هاتين الصورتين فقط، فلاشيئ دين علاوة عليهما ولايُقرر كدين. أما أخبار الأحاديث المشتملة على قول النبي وفعله وتقريره وتصويبه صلى الله عليه وسلم، والتي يطلق عليها عموماً مصطلح 'الحديث'، فالحقيقة التي لاتجحد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يهتم أبدا

بتبليغها وحفظها، بل تركها للسامعين والناظرين أن يبلغوها إلى من بعدهم إذا شاؤا اولم يبلغوها إن لم يشأووا، فإنها لاتضيف إلى الدين عقيدة وعملاً، فالأشياء التي تتضمنها والمتصلة بالدين إنها في الواقع تفهيم وتبيين للدين المحصور في الكتاب والسنة وبيان للأسوة الحسنة للنبي صلى الله عليه وسلم. فدائرة الحديث في هذا الأمر هي هذا. فكل شيئ خارج هذه الدائرة لايسمىٰ حديثاً ولايُقبل من حيث كونه حديثًا فقط. نعم داخل هذه الدائرة تقوم حجته على كل شخص يقبله من حيث كونه قولًا وفعلًا وتقريرًا وتصويبًا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد الإطمئنان إلى صحته. ولايجوز له الانحراف منه إذًا، بل يجب عليه أن يستسلم له إذا كان فيه أمرًا وقضاءً للنبي صلى الله عليه وسلم.

والقرآن الكريم والسنة والحديث – كل واحد منها محل للتدبر فالأشياء اللازمة التي يجب أن تكون أمام أهل العلم والنظر عندنا حتى يكونوا على نظرة صحيحة إزاء كل منها سوف نبينها فيما يأتي بترتيب.

(مترجمة من الأردية) (يُتبع)

عثمان فاروق*

استقبال شهر رمضان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،

رزقنا الله في حياتنا القصيرة فرصًا عظيمة لمضاعفة الأجر وزيادة الحسنات، وجعل له أوقاتًا مباركة يستطيع فيها التقرب إليه وتعويض ما فاته من تقصير. ومن أعظم هذه المواسم وأكثرها فضلًا شهر رمضان، حيث تتاح فيه فرص كثيرة للطاعات والعبادات وعمل الخير.

مرحبًا بالمطهِّر

بعد أيام قليلة، سيأتي شهر رمضان ليمنح القلوب الصفاء، والنفوس النور، والضمائر النقاء، بعدما أرهقتها مشاغل الحياة ومتاعب الدنيا. فيأتي رمضان ليعيد لها الحياة، ويوقظها من الغفلة. كان السلف الصالح يتمنون بلوغ رمضان، ويستقبلونه بفرح وشوق، ويعتبرونه فرصة عظيمة للتوبة والطاعة. وكانوا يهنؤن بعضهم البعض عند قدوم رمضان قائلين : "مرحبًا بالمطهِّر"، لأن رمضان يطهر القلوب، وينقي النفوس، ويمحو الذنوب.

رمضان في حياة رسول الله ﷺ

رمضان شهر مليء بالخيرات والبركات، اختصه الله بفضائل عظيمة، منها أنه الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم، كما قال الله تعالى : {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}[1]

---

*باحث بمرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة العلامة إقبال المفتوحة

وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، فقد قال : "أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم." [٢]

وقد صام النبي ﷺ رمضان تسع سنوات، حيث فُرض الصيام في شعبان من السنة الثانية للهجرة، وظل يصومه حتى وفاته في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة. وكان رمضان عند النبي ﷺ مختلفًا عن باقي الشهور، فقد كان يجتهد فيه بالعبادة والطاعة أكثر من أي وقت آخر، رغم أنه ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه كان أعظم الناس عبادة واجتهادًا، لما في رمضان من فضل كبير وكرم إلهي عظيم.

كان رسول الله ﷺ شديد الكرم في رمضان، فكان يضاعف صدقاته على الفقراء والمساكين أكثر من أي وقت آخر. وقد وصفه الصحابة رضي الله عنهم في عطائه خلال رمضان بأنه كالريح المرسلة، دلالة على كثرة إنفاقه وسرعته في مواساة المحتاجين في هذا الشهر المبارك. كان النبي ﷺ يكرّس وقته في رمضان لتلاوة القرآن، والصلاة، والذكر، والصدقة، والصيام، وكان يقلل من طعامه، منشغلًا بالعبادة والتقرب إلى الله.

كان النبي ﷺ أحسن الناس معاملة، ويتضاعف ذلك في رمضان. كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعفو عن المسيئين، ويتعامل بلين ورفق. حث على إطعام الطعام وفطر الصائمين، وكان متواضعًا، صبورًا، وحسن الخلق، يوصي بعدم الرد على الإساءة أثناء الصيام.

خصوصية شهر رمضان مع القرآن

عند الحديث عن رمضان، يركز الكثيرون على كونه شهر الصيام والامتناع عن الطعام والشراب، لكن الله عرّفه بشيء أعظم، وهو أنه شهر نزول القرآن.

إسلام آباد، usmanfarooq710@gmail.com

[١] سورة البقرة، رقم الآية : ١٨٥

[٢] رواه أحمد، رقم الحديث : ٧١٤٨ والنسائي، رقم الحديث : ٢١٠٦

فقد جعله الله ظرفًا زمانيًا لاستقبال أعظم هدية للبشرية، وهي القرآن الكريم، الذي لا يضاهي أي عطاء آخر. لذلك، يتميز رمضان بعلاقة خاصة مع القرآن، حيث ينبغي أن يكون حاضرًا بقوة في هذا الشهر المبارك. فكما أن المسلم مدعو للارتباط بالقرآن طوال حياته، فإن رمضان فرصة عظيمة لتعزيز هذه المصاحبة. وقد كان النبي ﷺ يراجع القرآن مع جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان، كما ورد في حديث سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه. وفي السنة الأخيرة من عمره، عارضه جبريل القرآن مرتين، فأخبر النبي ﷺ ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بذلك، مشيرًا إلى قرب أجله، فبكت. ثم أخبرها بأنها ستكون أول أهله لحوقًا به، ففرحت، وتوفيت بعده بستة أشهر. يظهر هذا الحديث مدى أهمية القرآن في رمضان، حيث كان النبي ﷺ يحرص على مراجعته وتلاوته، مما يجعل هذا الشهر فرصة عظيمة لمضاعفة الاهتمام بالقرآن.كان الإمام مالك عليه الرحمة إذا دخل رمضان يترك تدريس الحديث ومجالسة العلماء، ويتفرغ لقراءة القرآن. وكان الإمام سفيان الثوري عليه الرحمة يقول : "رمضان هو شهر قراءة القرآن وإطعام الطعام." لذلك، ينبغي للمسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ، فيحرص على تلاوة القرآن ومدارسته مع من هو أكثر حفظًا منه في هذا الشهر المبارك.

قيام الليل والاعتكاف

قيام الليل في رمضان من العبادات العظيمة التي أكد عليها النبي ﷺ، حيث قال : "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه." [٣] كان النبي ﷺ يصلي إحدى عشرة ركعة في قيام الليل، ويطيل فيها القراءة.

يستحب الاعتكاف في رمضان وفي غيره من أيام السنة، لكنه يكون أكثر فضلًا في رمضان، فقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك حتى وفاته. وكان أحد أسباب اعتكافه ﷺ تحري ليلة القدر، حيث قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يقول : تحروا ليلة القدر في العشر

[٣] رواه البخاري، رقم الحديث : ٣٧ ومسلم، رقم الحديث : ٧٥٩

الأواخر من رمضان." [٤] وهذه الليلة عظيمة، فقد جعل الله العمل فيها خيرًا من عمل ألف شهر، كما قال تعالى : {ليلة القدر خير من ألف شهر} [٥]

ختامًا، ينبغي لنا أن ندرك مكانة شهر رمضان ونعطيه حقه، فنغتنم أيامه ولياليه بالعبادة والطاعة، لعلنا ننال رضا الله وسعادتي الدنيا والآخرة. وما أحوجنا إلى الاقتداء بنبينا ﷺ في عبادته وسيرته، فإن لم نبلغ منزلته، فعلينا أن نجتهد ونسير على هديه، لأن النجاة في اتباعه، والفلاح في الاقتداء به. وقد قال الله تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا} [٦] ، مما يؤكد أن اتباعه هو الطريق إلى الخير والنجاح.

اللّٰهُمَّ بارك لنا في شعبان وبلغنا رمضان، ووفقنا فيه للصيام والقيام وتلاوة القرآن، واجعلنا من الذين ينجحون في هذه الحياة وينالون رحمتك في الآخرة.

---

[٤] رواه البخاري، رقم الحديث : ٢٠٢٠

[٥] سورة القدر، رقم الآية : ٣

[٦] سورة الأحزاب، رقم الآية : ٢١

تفهيم الآثار

الدكتور عمار خان ناصر

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم

[آثار التابعين وأتباع التابعين]

الحلقة الخامسة

أما بالنسبة للقرابة والعلاقة مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الاحترام والإكرام مطلوب من أهل الإيمان لأهل بيته، وخاصة للأزواج المطهرات، وهو ما جاء ذكره من جوانب مختلفة في القرآن الكريم والأحاديث. فجاء في سورة الأحزاب:

اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَاَزْوَاجُهٗٓ اُمَّهٰتُهُمْ. (الأحزاب ٦:٣٣)

وبالمثل جاء في الآية ٥٣ من السورة نفسها، وذلك قد أوجب على المسلمين ألا يتحدث رجالهم مع زوجات النبي المطهرات وجهاً لوجه، ولكن مهما كان المقصود من المحادثة، فيجب أن يتم ذلك خلف الستار. ثم إنه لا يحل لأحد أن يتزوج نسائه من بعده.كما قيل في الآية رقم ٣٣ مخاطبًا للأزواج أن الله يريد أن لايمس أهل بيته الأطهارأي اتهام أخلاقي.فقال:

اِنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا.

(الأحزاب٣٣ : ٣٣)

وفي سياق الآية فإن لفظ (أهل البيت) يشير إلى زوجاته، ومعناه الأوسع يشمل

أيضًا بقية أقاربه، كما يتبين من استعمالات هذا اللفظ في الروايات والآثار.

وقد علّم النبي صلى الله عليه وسلم وغرس السلوك المرغوب في احترام وتكريم أهل بيته في كثير من أحاديثه. ولذلك، وامتثالاً لتعليمات الله تعالى، فعلّم الصحابة الصلاةَ على النبي، وأشمل أهل بيته في ذلك. وكلماته جاءت في الدعاء الإبراهيمي كالتالي:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. (رواه النسائي، رقم ١٢٧٩)

وفي روايات أخرى ورد بدلًا من الآل لفظ الزوجات والذرية، مما يوضح أيضًا معنى الآل:فقد جاء:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ.

(رواه النسائي، رقم ١٢٨٥)

وكذلك نهى بعض عائلات بني هاشم عن أخذ الزكاة والصدقة من الناس، فقال:

إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ. (رواه مسلم، رقم ١٨٤٩)

وفي عدة مناسبات، قد حذّر الناس من معاملة عائلته بسوء، وحرّضهم على أن تتم بشكل جيد واحترام نسبهم وعلاقتهم به. فمثلاً لما رأى السوء أو التجهم في تصرفات بعض الناس تجاه عمه سيدنا العباس (رضي الله عنه) فحذرهم قائلاً:

مَا بَالُ رِجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي الْعَبَّاسِ؟ فَإِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ.

(المعجم الكبير، رقم١٧٤٦٣)

وقد تقدم إليه بريدة رضي الله عنه ذات مرة بشكوى على سيدنا علي رضي الله عنه، فقال له صلى الله عليه وسلم:

يَا بُرَيْدَةُ، أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. (مسند احمد، رقم ٢٢٣٦٧)

(الحديث ضعيف في كل أسانيده، المدير)

عندما تحدثت السيدة فاطمة مع السيدة عائشة بقسوة في بعض المرات،

نصحها النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:

يَا فَاطِمَةُ، أَلَيْسَت تُحِبِّينَ مَنْ أُحِبُّ؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَتُبْغِضِينَ مَنْ أُبْغِضُ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ عَائِشَةَ فَأَحِبِّيهَا.

(أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم ٤٨٢٧)

وأراد علي رضي الله عنه أن يتزوج ابنة أبي جهل، ولكن عند شكوى السيدة فاطمة قد أبدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنه الشديد على ذلك، وقال:

إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا. (مسلم، رقم ٤٥٨٨)

وجاء بلفظ "فاطمة جزء مني، ما يؤلمني هو ما يؤلمها. (مسلم، رقم ٤٥٨٨)

وخاصة في خطبته في غدير خم عند رجوعه من حجة الوداع، قد نصح أصحابه في شأن أهل بيته عليهم السلام فقال:

أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي. (مسلم، رقم ٤٥٣٠)

وفي الفصل الذي نحن بصدده سوف ندرس آثار الصحابة والتابعين المتعلقة بهذا الموضوع.

أزواج النبي صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ

(١)

عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَسَمَهُ فِي فُقَرَاء بَنِي زُهْرَةَ، وَفِي الْمُهَاجِرِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ الْمِسْوَرُ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بِنَصِيبِهَا فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ فَقُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ يَقُولُ (لأزواجه) "لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ"، سَقَى اللهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ. (مسند أحمد، رقم ٢٤٢٠٥)

الشرح اللغوي

يَحْنُو عَلَيْكُنَّ: 'حنا عليه' أي عطف عليه والطف به.

الشرح

إن القرآن الكريم إذ أعطى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم صفة أمهات الأمة فإنه حرم على أحد أن يتزوج منهن بعده. وبالإضافة إلى ذلك، فُرض قيود خاصة للحجاب على الزوجات المطهرات، الأمر الذي ألزمهن بالبقاء في منازلهن وعدم السماح لهن بالخروج من منازلهن والاختلاط بالناس إلا لضرورة لا مفر منها. وفي هذا السياق باتت مسؤولية توفير احتياجاتهن والعناية بها تقع على عاتق المسلمين كافة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفكرويهتم بزوجاته من جهة أن لا يتضايق الناس من بعده إلى القيام بواجباتهم نحوهن، ولا يقصرون في حقهن. وفي هذا الصدد، قد أعرب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور أعلاه عن تقديره لأولئك الذين سوف يظلون بعده ثابتين على دعم حقوق ومكانة زوجاته وسيستمرون في رعاية احتياجاتهن بشكل مسؤول.

التخريج واختلاف الطرق

وقدجاء هذا الاثرعن طريق أم بكربنت مسوربن مخرمة عن عائشة رضي الله عنها في المصادرالتالية:

المستدرک على الصحيحين، رقم ٥٣٦١- الزهد لأحمد بن حنبل، رقم ١١٠٦- الطبقات الكبرى لابن سعد، رقم ٢٩٣٣- الشريعة للآجري، رقم ١٧٤٠- مشكل الآثار للطحاوي، رقم ٣٠٤٥-

و بالإضافة إلى مسور بن مخرمة قد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن عائشة. وكلماته هي كما يلي:

قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَحْنَى عَلَيَّ، فَقَالَ: "إِنَّكُنَّ لَأَهَمُّ مَا أَتْرُكُ إِلَى وَرَاءِ ظَهْرِي، وَ الله لَا يَعْطِفُ عَلَيْكُنَّ إِلَّا الصَّابِرُونَ أَوْ الصَّادِقُونَ". (مسند أحمد، رقم ٢٤٣٧١)

وقد جاء في حديث الترمذي أن الدعاء لعبد الرحمن بن عوف في آخر الحديث من قول السيدة عائشة:

قَالَ: ثُمَّ تَقُولُ عَائِشَةُ: فَسَقَى الله أَبَاكَ مِنْ سَلْسَبِيلِ الجَنَّةِ، تُرِيدُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ

بْنَ عَوْفٍ. (أخرجه الترمذي، رقم ٣٧٤٩)

وقد جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا فيمن له يصل الرحم لأمهات المؤمنين من حديث أم سلمة رضي الله عنها في المصادر التالية:

مسند أحمد، رقم ٢٦٠١٣- المعجم الكبير للطبراني، رقم ١٩٥٠٧- المستدرک على الصحيحين، رقم ٥٣٦٢- الطبقات الكبرى لابن سعد، رقم ٢٩٣٢- معرفة الصحابة لأبي نعيم، رقم ٤٧٥-

(٢)

عَنْ كَرِيمَةَ وَهِيَ ابْنَةُ المقداد ... أَن الْمِقْدَاد أوصى لِلْحسنِ وَالْحُسَيْن ابنى على بن أبي طَالب لكل وَاحِد منهما بِثمَانِيَة عشر ألف دِرْهَم وَأوصى لِنسَاء النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ سَبْعَة آلَاف دِرْهَم لكل امْرَأَة مِنْهُنَّ فقبلوا وَصيته .

(التاريخ الاوسط للبخاري، رقم ٣٢٨)

الشرح

١. المقداد بن الأسود رضي الله عنه صاحب رسول الله وقد شهد بدراً. وقد جاء في الأحاديث أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحسن الظن بمن يقوم على زوجاته من بعده. فتروي زوجته زَبَاعة بنت الزبير:

عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْكَ شَكَكْتُ فِيهِ، قَالَ: "فَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي الْأَمْرِ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ"، قَالَ: قَوْلُكَ فِي أَزْوَاجِكَ: "إِنِّي لَأَرْجُو لَهُنَّ مِنْ بَعْدِي الصِّدِّيقِينَ"، قَالَ: "وَمَنْ تَعُدُّونَ الصِّدِّيقِينَ"؟ قَالَ: فَقُلْنَا: أَوْلَادَنَا الَّذِينَ يَهْلِكُونَ صِغَارًا، فَقَالَ: "لَا، وَلَكِنَّ الصِّدِّيقِينَ هُمُ الْمُتَصَدِّقُونَ". (مسند ابن أبي شيبة، رقم ٤٨٩)

فعملًا بروح ماأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصى المقداد بن الأسود رضي الله عنه بأمواله لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم و أحفاده (للأم) وهو المذكور في الأثر الذي نتحدث عنه.

٢. «الصديق» صيغة المبالغة من «صادق»، ومعناها بلوغ درجة الكمال في الصدق والأمانة. وبنفس المعنى فقد وردت هذه الصفة في القرآن الكريم أيضًا

في حق الأنبياء[1] وفي حق أولئك الذين كانوا في مقدمة من صدّقوا الأنبياء ونصروهم.[2] وقد فسر الطبري رحمه الله معناها الشامل بقوله:

الصِّدِّيقُونَ: تُبَّاعُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ صَدَقُوهُمْ وَاتَّبَعُوا مِنْهَاجَهُمْ بَعْدَهُمْ حَتَّى لَحِقُوا بِهِمْ. (تفسير الطبري ٢١١/٧)

وقد فسر المقداد بن الأسود الصديقين في الحديث المذكور بالأطفال الذين ماتوا صغارًا، ولعل ذلك من جهة أن الأطفال الذين ولدوا على الفطرة وماتوا قبل البلوغ من غيرمرورهم بامتحان كفر وإيمان يمكن أن يقال في الظاهر إنهم ماتوا على الإيمان والإقرار. إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أن المراد بالصديق هنا الذين يتصدقون وينفقون. وهذا مثال تفسير الكلمة بلازمها. وهذا يعني أنه صلى الله عليه وسلم أراد أنه من ثبت على دينه وعهده بعدي وقام بواجباته الدينية فإنه ينفق أمواله على زوجاتي أيضًا لتوفير احتياجاتهن. ويبدو أنه في هذه الحالة فإن فعل العطاء والإنفاق يكون من شروط صدّيقيتهم.

التخريج واختلاف الطرق

وروي هذا الأثر أيضًا عن طريق كريمة بنت المقداد في تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨١/٦٠، وفي التاريخ الصغير للبخاري ٨٣/١.

(مترجمة من الأردية) [يُتبع]

---

[1]- مريم ١٩: ٤١، ٥٦-

[2]- النساء ٤: ٦٩- الحديد ٥٧: ١٩-

سيد منظور الحسن

موقف الأستاذ غامدي من قضية "نزول المسيح"

الحلقة الثانية

(ملتقط من حواره مع الأخ حسن إلياس. قام
بترجمته إلى العربية: الدكتور محمد غطريف
شهباز الندوي)

[هذا العمود المعنون بـ "وجهة النظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبرعن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

الباب الأول

المسيح ـ نصوص القرآن والحديث

إن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ نَبِيًا آخِرَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ .بُعِثَ قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ قَبْلَ بَعْثَةِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ سيدنا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنْعَمَ الله عَلَيْهِ بِمَنْصِبِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ .وَكَانَتْ بَعْثَتُهُ لِتَتِمَّ حُجَّةَ الله عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .وَلِهَذَا جَعَلَهُ الله آيَةً لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ فحياته كله مثلاً كيف جَاءَ إِلَى الدُّنْيَا، وَكَيْفَ عَاشَ، وَكَيْفَ رَحَلَ كل ذلك مُحْتَوَى عَلَى ظَوَاهِرَ خَارِقَةً وَوَقَائِعَ

نَادِرَةً. وَقَدْ أَطْلق عَلَيْهِ الْقُرْآنُ'' كَلِمَةَ الله ' وَ''رُوحَ الله'' وَاعْتَبَرَهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ،كما قال تعالى عزشأنه:

وَجَعَلْنٰهَا وَابْنَهَآ اٰيَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ. (الأنبياء:٩١)

و هناك تتواجد و تنتشر تصورات في الأمة الإسلامية حول رفع المسيح عليه السلام وحياته ووفاته ونزوله إلى الدنيا مرة ثانيةً. و يراد بها أنه عندما حاول بني إسرائيل صلبه أخذه الله إليه وحفظه ورفعه بجسمانه إلى السماء . وهواليوم موجود في السماء حيًا وسالمًا .وقبيل القيامة سينزل مباشرة من السماء إلى الأرض وسيقوم ببعض الأمور المحددة ثم يُتوفى، والنصوص القرآنية والحديثية التي يتم الاستدلال بها عليهذه التصورات مدرجة في الصفحات القادمة.

أولًا:نصوص القرآن

إن القرآن المجيد مراعاةً لأهل الكتاب في أرض العرب قد جاء ببيانات مسهبة بخصوصالمسيح عليه السلام .وهدف هذه التوضيحات هو دحض ادعاءاتهم الباطلة ونظرياتهم الكاذبة .ومن بين هذه القضايا قضية و موضوع وفاةالمسيحعليه السلام ورفعه إلى الله وقد ذُكر هذا الأمر في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم.

١- سورة آل عمران، الآيات55-54

يتألف أحد المقاطع من سورة آل عمران(٣)من الآيات 55-54 ،ويبدأ السياق في الآية رقم ٣٣ في البداية حيث قالإن الله قداختار آدم ونوحا عليهما السلام في ذاتهما الفردية، واصطفيذُرِّيّة إبرَاهِيم بني إسرائيل وبني إسماعيل -كأُمّة للنُبُوة والرسالة وللّشهادة على الناس فقال:

اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰٓى اٰدَمَ وَنُوْحًا وَّاٰلَ اِبْرٰهِيْمَ وَاٰلَ عِمْرٰنَ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ. ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنْۢ بَعْضٍ ۗ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ. (آل عمران:٣٣-٣٤)

أي يريد أهل الكتاب هولاء أن يجادلوكم على أن الله قد اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على جميع العالمين(لهداية وترشيدهم)هم ذرية بعضها

من بعض ,والله خبيربما يقولون ويفعلون لأنه سميع عليم.

فهنا قد تم ذكر آل عمران، أي عائلة عمران، كمقدمة لذلك الكلام الذي سياتي قدمًا بخصوص سيدنا المسيح عليه السلام الزهرة الرائدة لتلك العائلة.

وقد جاء ذكر بعد هذه المقدمة، قصة السيدة مريم عليها السلام والدة السيد المسيح عليه السلام. وقد بيّن كيف أن والدتها نذرتها لله وكيف انكبت على عبادة الله منذ صغر سنها؛ وكيف اختارها الله مفضلاً إياها على نساء العالم لظهور آيته العظمى؛ ثم كيف بشرها الله بالسيد المسيح وأعلمها أنه سيعلن نبوته في مهدها؛ ثمكيف بدأ سيدنا المسيح عليه السلام دعوته لبني إسرائيل وأخبرهم بالآيات التي وهبت له من عند الله ، فكان يشفى الأعمى الطبيعي بإذن الله ويعالج الأبرص الذي لا علاج له، ويحيي الموتى؛ ثمبعد ذلك كيف رفع نداء "من أنصاري إلى الله؟" عندما أنكر بني إسرائيل دعوته وجحدوها وكيف أجابه الحواريون على دعاءه بقولهم "نحن أنصار الله".

فهذه هي الخلفية وهذاهو السياق الذي جاءت فيه الآيات من النساء ٥٤-٥٥ ومن ذلك يتضح أن بني إسرائيل بدأوا بالتآمر سرًا ضد النبي عيسى عليه السلام ليتمكنوا من صلبه بتهمة مفتعلة[1].

وقد أخبر الله تعالى أن مكائدهم ذهبت سُدى وباتت لا وزن لها أمام تدبيراته هو ، لذلك أوضح الله تعالى لنبيه المسيح عليه السلام تدبيره قائلاً:

وَمَكَرُوْا وَمَكَرَ اللّٰهُ ؕ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰكِرِيْنَ. اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسٰٓى اِنِّىْ مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ اِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَجَاعِلُ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْكَ فَوْقَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ ۚ ثُمَّ اِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَاَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيْمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ.

٢- سورة النساء، الآيات158-157

والمقام الثاني هو الآيات ١٥٧-١٥٨من النساء. وهو من آخِرِ أجزاء سورة النساء. وتَبْدَأُ سلسلة الكلام فيهابِآيَةِ 153 مِنْ السورة حيث قال مخاطبًا لرسوله

---

[1] وتفيد الآية ١٥٧من النساء أن بني إسرائيل قد أرادوا صلب المسيح عليه السلام وقتله، ولكنهم فشلوا في ذلك بإذن الله.

صلى الله عليه وسلم:

يسئلك أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ"؛ فَأُعْلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ طَلَبَاتِهِمْ لَا تُثِيرُ عَجَبًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا دَائِمًا يُقَدِّمُونَ مِثْلَ هَذِهِ الطَّلَبَاتِ .فَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ، وهوأَنْ يُرينا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ .ثُمَّ عَدَّدَ الْقُرْآنُ جَرَائِمَهُمْ الْبَشِعَةَ وَبَيَّنَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بِسَبَبِهَا وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْجَرَائِمِ أَنَّهُمْ افْتَرَوْا عَلَى السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ، وَحَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وزادواعليه فادَّعَوْا زُورًا أَنَّهُمْ نَجَحُوا فِي فِعْلِهِمْ الشَّنِيعِ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ أُخفقوا فِي تَآمُرِهِمْ و وقعوا في الشبه ورُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ اللهُ فِي ذَلِكَ :

الآيات	ترجمتها كماجاءت في "البيان" ترجمة معاني القرآن للأستاذ غامدي باللغة الأردية:
يَسْـَٔلُكَ اَهْلُ الْكِتٰبِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَاَلُوْا مُوْسٰٓى اَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوْٓا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ ۚ وَاٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا. وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِيْثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَّقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا فِى السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا.	يطلب منك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء مباشرة (بدلاً من هذا القرآن) فلا عجب في هذا لقد طلبوا من موسى مطالب أكبر من ذلك طلبوا أن يروا الله علانية فبسبب هذا التمرد منهم أخذتهم الصاعقة .ثم اتخذوا العجل إلهاً بعدما جاءتهم البينات الواضحة ومع ذلك تجاوزنا عنهم ومنحنا موسى تسلطاً واضحاً عليهم وسلطانا، ورفعنا الطور فوقهم بعهد معهم وأمرناهم أن يدخلوا الباب سجداً وأمرناهم أن لا

يتحايلوا في شأن السبت، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً على ذلك.

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ؕ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ اِلَّا قَلِيْلًا. وَّبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًا. وَّقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ؕ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ؕ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا ۢ بَلْ رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا. (١٥٣-١٥٨)

ثم بسبب نقضهم لعهدهم (لعناهم) و بسبب عدم إيمانهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وبسبب قولهم إن قلوبنا مغلفة - لا، بل طبع الله على قلوبهم بسبب كفرهم، لذلك لن يؤمنوا إلا قليلاً .وبسبب كفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً. وبسبب ادعائهم أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله - في حين لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن شبه لهم الأمر .الذين اختلفوا فيه في شك ولا علم لهم به ويتبعون الظن .لم يقتلوه، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا.

٣- المقام الثالث الآيتان117-116 من سورة المائدة

المقام الثالث هو الآيات 117-116 من سورة المائدة (5) فهنا تم نقل الحوار الذي سيجري بين الله تعالى وعيسى عليه السلام في يوم القيامة .كأن الله تعالى قد استبق لإخباره عن حادثةٍ ستحدث في المستقبل.

ففي هذا النص يتحدث عن يوم القيامة حيث سيسأل الله تعالى سيدنا عيسى عليه السلام أمام أتباعه ـــــ النصارى ـــــ قائلاً :هل قلت لهم أن

يتخذوك وأمك إلهين من دون الله؟ وسيجيب سيدنا عيسى عليه السلام : كيف يصح لي أن أقول لناس ما ليس لي بحق؟ إذا كنت قد قلت هذا الأمر أو كان في قلبي شيئ ما مثل ذلك لما خفي عليك .لقد قلت لهم فقط ما أمرتني به .ثم سيضيف قائلًا: طالما كنتُ بينهم كنت الرقيب عليهم، وعندما توفيتني لم أكن بعد ذلك حارسًا عليهم. لذا فإنك منذ وفاتي إلى يوم القيامة كنتَ أنت الرقيب عليهم، وأنت الأعلم بالأمر مني.

في هذه الآيات جاءت الكلمات "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ" أي ثمّ إنكعندما توفّيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد.

ومن هذه الكلمات يتبين بوضوح أن سيدنا المسيح عليه السلام بعد وفاته ورفعه إلى الله كان غير مدرك لأموروأعمال أتباعه حتى يوم القيامة.

والآيات هي كالتالي:	ترجمتها كماجاءت في "البيان"
وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوْنِيْ وَاُمِّيَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ؕ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُوْنُ لِيْٓ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ ۗ بِحَقٍّ ؕ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهٗ فَقَدْ عَلِمْتَهٗ ؕ تَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِيْ وَلَآ اَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ ؕ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَآ اَمَرْتَنِيْ بِهٖٓ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ عَلَيْهِمْ ؕ وَاَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ	(على الذين قد كتموا شهادة الله ان يذكروا يوما يتم ذكر ذلك ويذكروا أيضًا أنه) إِذْ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِك أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدا مَّا دُمتُ فِيهِمْ فَلَمَّا
تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ.

فهذه هي الآيات من القرآن الكريم بشأن وفاة المسيح عليه السلام ورفعه إلى الله، منها ما هي في سورة المائدة حيث يتم ذكر الوفاة والرفع معًا .و منها ما هي في سورة النساء والتي يتم فيها ذكر الرفع فقط، بينما في سورة المائدة يتم ذكر الوفاة فقط .وبهذا يظهر أن الله تعالى قد توفى المسيح عليه السلام أولًا ثم رفعه إليه.

(مترجمة من الأردية) (يُتبع)

المحادثة: محمد حسن إلياس
قام بترتيبها وتدوينها: شاهد رضا

أسباب الضلال الفكري

الحلقة الأولى

[مقتطف ومستفاد من محاضرة الأستاذ محمد حسن إلياس مدير البحث والاتصال مركز غامدي للتعلم الإسلامي المورد الأمريكة،والتي ألقيت خلال زيارته إلى البحرين في عام 2022م.]

أي فكر ينطوي على ضلال يمكن تحليله وتقييمه من خلال خمسة أسباب. جميع الأفكار والتفسيرات الدينية الموجودة في العالم، إذا وُجد في أية فكرة أحد هذه الجوانب كمبدأ وأصل، فهي فكرة ضلال وسيستند النقد المستمر للتوجهات الدينية الناشئة في التراث العلمي الإسلامي إلى هذه الأسباب الخمسة. فهذه هي المعايير أو المرشحات التي تقع أساساتها في القرآن الكريم أو في المسلّمات العلمية والعقلية. فلا يمكن تحديها في واقعيتها وصدقها لذا، فإن الأسباب الخمسة للضلال الفكري هي كماياتي:

١- اللغة نطق فيُحَول إلى منطق
٢- التعمق في المتشابهات والتعرض لها
٣- أن يُعتبرالأصل فرعًا والفرع أصلاً
٤- الابتداع في الأصول والمصادر
٥- إنكار العلم والعقل والمسلمات التاريخية

أولاً-اللغة هي النطق فتُجعل منطقًا

إن طلب الله تعالى جاءبلغة خاصة، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها بأن القرآن الكريم نزل باللغة العربية واللغة لاتكون مجرد مجموعة من الكلمات المتفرقة، بل هي حقيقة حية نستخدمها في التكلم والسمع والفهم. إنها ليست اختراعًا لفرد أو جماعة أو عصر، بل تنشأ من خلال تفاعل القرون والتطور الثقافي والاحتكاك المتواتر.

هذه حقيقة بديهية أن الكلمات المخصصة للأشياء المحيطة بنا تحمل معنى مشتركًا على سبيل المثال الطاولة الموضوعة أمامنا يطلق عليها الكل اسم "الطاولة". لا يمكننا إعادة اختراع هذه الحقيقة اليوم، لأنها نتيجة للتسلسل التاريخي للغة .

ينطبق هذا المبدأ أيضًا على القرآن الكريم أيضًا، فقد أنزل الله تعالى رسالته بلغة حية ومحددة وهي اللغة العربية التي انتقلت إلينا بتسلسل تاريخي معلوم ولها قواعد نحوية مسلّمة. فإن الكلمة كجزء من الجملة، تحدد معناها من خلال سياقها وسباقها. لذا، فإن استنتاج المعاني من الكلام يجب أن يكوناستنادًا إلى تلك القواعد اللغوية والمعاني المتواترة. لذلك، لفهم القرآن من الضروري قراءته على ضوء قواعد ومبادئ هذه اللغة نفسها، وليس على أساس أي قياس منطقي مجرد أو نظرية فلسفية أو تطبيقات عقلية لتجريد المعاني الأصلية للكلمات.

الفكر الضال ينطلق ويبدأ من هنا، عندما يحاول الإنسان فهم كتاب الله مع تجاهل القواعد الأساسية للغة، معتمدًا على منطق خارجي أو اجتهاد عقلي. بما أن كلام الله وارد بلغة معروفة وحية فإن الطريقة الصحيحة لفهمه هي الطريقة التي حددها خبراء اللغة والتفاعل التاريخي وأهل العلم. فإن تجاهل اللغة والاعتماد فقط على المنطق لتفسير القرآن يعني في الواقع تحريف معناه الأصلي وإخضاع الوحي للرأي الشخصي، مما يؤدي إلى الانحراف الفكري والضلال.

لِذَلِكَ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَبْدَأٍ لِفَهْمِ القُرْآنِ المَجِيدِ هُوَ أَنْ يُقْرَأَ فِي ضَوْءِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا، وَعُرُفِهَا وَأَسَالِيبِهَا، وَلَيْسَ فِي ضَوْءِ استدلالٍ عَقْلِيٍّ مُجَرَّدٍ، الَّذِي

يَعْتَمِدُ عَلَى نَظَرِيَّاتٍ مُتَغَيِّرَةٍ وَآرَاءٍ شَخْصِيَّةٍ. عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، قَدْ قَالَ الله تَعَالَى:

اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تُشْرِكُوْا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا وَّاَنْ تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ.

(الاعراف٧ :٣٣)

فكلمة "إِنَّمَا "هنا تُحدث حصرًا،(Restriction) أي أن الله حرّم فقط تلك الأشياء القليلة. فإذا ادعى شخص أن كلمة "إِنَّمَا" لا تُحدث حصرًا، فالسؤال سيكون على أي أساس يقول هذا؟ ما هو دليل كلامه في ضوء نظائر اللغة نفسها؟ فلا يمكن اختراع قواعد اللغة جالسًا في المنزل حسب زعم شخصي. للغة استمرارية تاريخية وكلماتها تحمل معاني محددة، تكون نابعة من التواتر الاستخدامي لها.

وهذه القضية ليست محصورة في فهم القرآن فقط، بل يتم تفسير كل نص علمي على هذا المبدأ. وعلى سبيل المثال إذا وُضِع أمامنا كتاب لوليام شكسبير (William Shakespeare) فإن أول ما سَيُسأل عنه هو: في أي لغة هو؟ ما هو مفهوم كلمة معينة في تلك اللغة؟ إذا اخترع شخص ما معنى لكلمة حسب رغبته فسيكون ذلك خيانة علمية.

فكان أول سبب للضلالات الكبرى التي وقعت بيننا هو تركنا لقاعدة اللغة. ونتيجة لذلك، تم اكتشاف روائع الخزائن الفكرية التي كان التاريخ العلمي للأمة محرومًا منها على الدوام. على سبيل المثال، بعد تلاوة الآيات الجزء الأخير من القرآن الكريم "وإذا الجبال سيرت" وما إليها من الآيات فسرها بأن هذا يشير إلى الثورة الصناعية، (industrial revolution) وأن لفظة الجن تشير إلى مخلوقات الصحراء. فاللغة لا تقبل كل هذه الأفكار يقول القرآن الكريم:

نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ.

(الشعراء٢٦: ١٩٣-١٩٥)

ويطلق القرآن الكريم على نفسه اسم (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ)، وهذا يعني أنه نزل بلغة عربية واضحة وبليغة وهذا يعني أن مطالبها لا يمكن أن تكون موضع أي غموض أو ارتباك. لا يمكن أن يقدم الله تعالى للبشر أجوبة لأهم وأعظم أسئلة الكون، والمبادئ الأساسية للدين، والدليل القاطع، و تكون

غامضة بحيث يستطيع أحد أن يغير معانيها كيفما يشاء. إن من غير المعقول أن يرسل الله نبيًا إلى الأرض ليقدم حججًا حاسمة، ثم تكون تلك الحجج غامضة إلى درجة أن كل واحد يستطيع تفسيرها على طريقته هو. فعندما يُتحدث عن شيء ما في أي لغة، فإنه يحمل معنى محددًا، والمتحدث لا يتسامح أبدًا مع تقسيم كلامه إلى تفسيرات تعسفية.

هذا المبدأ لا يقتصر على القرآن فقط، بل ينطبق على كل نص علمي وقانوني. ففي المحكمة لا يكتب القاضي حكمًا بعبارات شعرية أو غامضة بحيث يمكن لكل شخص أن يستخلص منها نتيجة حسب رغبته .تكون الأحكام في المحكمة صريحة وواضحة لأنه هناك يتم اتخاذ القرار بشأن حياة وحقوق شخص ما. فكيف يمكن إذن أن يكون كتاب الله، الذي هو دليل حاسم للبشرية حتى يوم القيامة، حاملًا لمعانٍ غامضة أو مرنة؟

لذلك، فإن للقرآن تأويلًا محددًا، لا يمكن فهمه إلا وفقًا للغته الأصلية وسياقه. فإذا قال أحد العلماء قولًا باسم الدين لايتوافق مع لغته فيجب أن يكون السؤال الأول له هو: إذا كنت تبين حقيقة من القرآن فأين وردت هذه في القرآن وكيف تقبل لغته هذه التفسيرات؟

لفهم القرآن، ليس من الضروري الرجوع إلى أي منطق خارجي، تكهنات أو آراء شخصية، بل يجب فهمه في ضوء لغته الخاصة وأصوله هو.

(مترجمة من الأردية) (للبحث صلة)

أستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج

الحلقة الأولى

[كان الدكتورصالح السامرائي رحمه الله من علماء العراق وكان مضطلعًا بتفسير القرآن بالقرآن وكان له اطلاع واسع بنظائر القرآن، وكان رحمه الله نسيج وحده في بيان روائع القرآن في هذا الزمان. نقدم هنا قبسات من محاضرته القيمة حول لمسات بيانية في الأسراء والمعراج. مدير التحرير.]

جاء ذكر حادثة الإسراء صريحًا في الآية الأولى من سورة الإسراء أما المعراج فجاء ذكر أحداثه في سورة النجم في آيات متتالية من الآية ١ إلى الآية ١٨فقال:

سُبْحٰنَ الَّذِیْٓ اَسْرٰی بِعَبْدِهٖ لَیْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَی الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِیْ بٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِیَهٗ مِنْ اٰیٰتِنَاؕ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِیْعُ الْبَصِیْرُ.

حُفّت السورة كلها بالتسبيح والتحميد قبلها وبعدها ولعلّ في هذا إشارة إلى أنه سينُقل إلى مكان وعالَم كله تسبيح: إن سورتي النحل ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وسورة الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾، وآياتها حُفّت بالتسبيح والتحميد في بدايتها بالآية ١ وفي آخرها ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ آية ١١١. وقد سُبقت السورة بالمعيّة في أواخر سورة النحل ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ آية ١٢٨ ومن أعلى أنواع المعيّة أن يُعرج به إلى حيث من يُحبه بعدما لاقى من الأذى ما لاقاه من قومه وهذه أعلى معيّة للرسول وكأنه هو أعلى من الذين اتقوا والذين هم محسنون.

بداية السورة: سبحان: كما هو معروف لغويًا سبحان هي إما إسم مصدر أو عَلَمٌ على التسبيح. ولقد ورد التسبيح في القرآن الكريم في سور شتّى فورد بصيغة الفعل الماضي ﴿سبّح لله ﴾ وفعل مضارع ﴿يُسبح لله﴾ أو فعل أمر ﴿فسبّح باسم ربك﴾ وورد بتعدية الفعل نفسه ﴿سبّح اسم ربك الأعلى﴾ ﴿وتسبّحوه بكرة وأصيلا﴾ وبالباء ﴿فسبّح باسم ربك﴾ وورد بلفظ تسبيح وتسبيح اسمه ﴿سبّح اسم ربك﴾ فنحن نسبّحه ونسبّح له ونسبّح باسمه ونسبّح بحمده (فسبّح بحمد ربك واستغفره)

وباللام. سبحان الذي أسرى: المجيء بالمصدر يفيد الإطلاق بدون تقيّد بزمن أو بفعل أو بفاعل تسبيح مطلق قبل تسبيح أحد لا بفاعل معين ولا بزمن معين قبل خَلق المسبّحين أصلاً. والإفتتاح بسبحان طبع السورة بجو التسبيح وشاع فيه ذكر التسبيح ﴿سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيرا﴾ (تسبح له السموات السبع والأرض) ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وهي أوسع وأشمل توسيع على الإطلاق. الفعل عادة مقيّد بزمن ومقيّد بفاعل فعندما قال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى﴾ كان مطلقًا قبل وبعد تسبيح المسبّحين لا بفاعل معين وزمن معيّن إنما له التسبيح المطلق قبل أن يخلق المسبحين أصلًا. فالإطلاق في التسبيح في السورة متناسب جدًا مع ما جاء في أول السورة ﴿سبحان الذي﴾ وهو التسبيح المطلق.

وليس هناك في القرآن كله سورة شاع فيها التسبيح كما شاع في سورة الإسراء ولا توجد سورة تضاهيها في التسبيح ولعلها إشارة إلى أن الرسول سينتقل إلى عالم وجو مليء بالتسبيح (الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فالسورة إذن مشحونة بالتسبيح. وأسرى تفيد المشي ليلاً وقد يكون من معانيها التسرية عن الرسول بعدما لاقاه في عام الحزن وما حصل له في الطائف فأراد الله تعالى أن يُسرّي عن رسوله ويريه كيف تكون حفاوته في السماء بعد أن هان على الكفّار في قريش والطائف فآذوه ولم ينصروه .هذا ماعندي والله أعلم.

أسرى بعبده: لم يقل برسوله ولا بمحمد وإنما قال بعبده.

الإختيار لكلمة ﴿بعبده﴾ له جملة معاني أولها: أن الإنسان مهما عظُم لا يعدو

أن يكون عبداً لله تعالى، لا ينبغي لأحد أن يدّعي مقاماً ليس للآخرين وحتى لا يَعظّم أكثر مما ينبغي (كما فعل النصارى بعيسى) فاختيار كلمة عبد حتى لا يُدعى له مقام غير مقام العبودية. فمقام العبودية لله هو أعلى مقام للخلق وأعلى وسام يُنعم الله تعالى به على عباده الصالحين تمامًا كما وصفت الآيات نوح ﴿إنه كان عبدًا شكورًا﴾ وأيوب ﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾ والرسول ﴿وإنه لمّا قام عبد الله يدعوه﴾.

والعبودية نوعان: قسرية واختيارية، فالعبودية القسرية تتحقق شاء أم أبى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) سورة مريم أما العبودية الإختيارية فهي أعلى مقام العبودية ولمّا ذُكر موسى ذكره الله تعالى باسمه وأعلى مقام لموسى كان في المناجاة ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ إلى قوله (خرّموسى صعقا) لم يكن ليقل خرّ عبدنا موسى أو جاء عبدنا موسى فلا يجوز أن ينسب العبودية له ثم يخرّ صعقًا هذا لا يحدث ولا يجوز أصلًا.

أما الرسول عندما ذكر بصورة العبودية أعقبها أنه عُرِج به إلى السماء وإلى سدرة المنتهى وخاطبه ربه بمقام لم يصل إليه أحد إلاّ هو فلذا كان استعمال كلمة ﴿بعبده﴾ دلالة على زيادة التشريف له والباء أيضاً إضافة تشريف وهي تدلّ على الرعاية والحفظ مثل قوله تعالى ﴿فأوحى إلى عبده﴾. ليلًا: كلمة أسرى معناها ليلًا لأن الإسراء لا يكون إلا ليلًا (ظرف مركّب) حتى نفهم أن الرحلة الطويلة من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى والعروج إلى السماء كانت كلها في جزء من الليل وقد جاءت كلمة ﴿ليلًا﴾ بدل الليل لأن الليل تدل على الليل كله أما الإسراء فقد تم في جزء من الليل فقط وليس الليل كله. من المسجد الحرام: أي من عين المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام يعني أن لا يحدث فيه سوء.

وأكثر العلماء يقولون أن الإسراء لم يتم من المسجد الحرام وإنما من بيت أم هانئ وفي هذا التفاتة إلى أن مكة كلها حرم. المسجد الأقصى: لم يكن آنذاك مسجدًا لكن هذا إشارة إلى أنه سيكون مسجدًا. **باركنا حوله**: أسند تعالى المباركة لنفسه للدلالة على التعظيم ولم يقل بورك حوله والنون للعظمة لم يقل باركناه بل قال باركنا حوله لآنه لو قال باركناه لانحصرت المباركة بالمسجد فقط أما باركنا حوله فهو يشمل كل ما حوله وهو تعظيم للمسجد نفسه ولكنه إشارة

أن المباركة حول المسجد أيضًا. ولم يقل باركنا ما حوله لأنها عندئذ تعني الأشياء فإذا زادت الأشياء زادت المباركة وإذا ذهبت ذهبت المباركة لكن المباركة كانت مطلقة تشمل أشياء معنوية وماديّة وروحانية بما أودع الله تعالى من رزق وخير وإرسال الرسل ولا تختص المباركة بشيء معين واحد وإنما تشمل كل هذه الأشياء.

لنريه: إلتفات لأسلوب المتكلم بعد أن ابتدأ بالغائب ﴿سبحان الذي أسرى﴾ إلتفت سبحانه للمتكلم ليدلّ على أن المتكلّم هو الله تعالى وليس شخصًا يُخبر عنه إنما كان من الله تعالى مباشرة. وكلمة ﴿لنُريه﴾ تدلّ على أن أفعاله سبحانه معلّلة ولغرض معيّن ولحكمة قد يذكرها وقد يخفيها عنّا سبحانه وكأن هذه الرحلة معدّ لها. من آياتنا: أي مقرر ومُعدّ أن يرى بعض الآيات وليس كلها ولنريه: إسناد الفعل لله تعالى وشدة احتفائه برسوله ولم يقل ليرى أو ليُرى إنما جاءت ﴿لنُريه﴾ وهذا إكرام وتشريف آخر من الله تعالى لرسوله في هذا الرحلة.

وإضافة الآيات إلى نفسه تعالى تأتي من باب الإحتفاء بالرسول. **إنه هو السميع البصير**: عودة إلى الإفراد والوحدانية. ضمير التعظيم يأتي بعد أو قبل ضمير الوحدة في القرآن الكريم وهذا حتى لا يلتبس على السامع ويُشرك مع الله أحدًا والأمثلة على ذاك كثيرة في القرآن الكريم تمامًا كما في سورة الكوثر:

(١) ﴿إنا أعطيناك الكوثر

(٢) فصلّ لربك وانحر.

إنا تفيد التعظيم والكاف تفيد الوحدانية لأن الربّ واحد لا شريك له. وهي تدل على أنه سبحانه في الحقيقة هو المتفرّد بهذه الصفات ولقصر الصفات له سبحانه جاء بالضمير ﴿هو﴾

لماذا خُتمت الآية بـ ﴿السميع البصير﴾؟ ما دلالة السمع والبصر هنا؟ سياق الآيات تقتضي ذكر قدرة الله تعالى الحقيقة أنه لو قال إنه هو القدير أو إنه على كل شيء قدير لا يزيد شيئًا على معنى الآية لأن ما في الآيات اثبات لقدرة الله تعالى والرسول أُسري به ليسمع ويرى أشياء لم يسمعها ولم يرها من قبل لذلك ناسب سياق الآيات أنه ما يراه الرسول يراه ربّه وما يسمعه يسمعه ربّه لذلك إنه هو السميع البصير. فلماذا لم تأتي الآيات ﴿السميع العليم﴾ مثلاً كما وردت في آيات أخرى في القرآن؟ الذي يسمع ويرى هو عليم ولكن إذا قيل عليم قد

يكون غائب عنك فالعليم ليس فيه حضور أما السميع البصير ففيه حضور. ولقد وردت ﴿السميع العليم﴾ في آيات أخرى لأن المقام في تلك الآيات اقتضى ذلك ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة الأعراف آية ٢٠٠ عندما ذكر نزغات الشيطان، والشيطان لا يُرى ووساوسه لا تُرى كذلك لذلك جاءت الآية ﴿سميع عليم﴾.

أما عند ذكر البشر في آية أخرى تأتي ختام الآية بـ ﴿السميع البصير﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ سورة الغافر ورقم الآية ٥٦.

لماذا قدم السمع على البصر؟

أولًا. لأن من يسمعك أقرب ممن يراك فالشخص الذي تسمعه أنت أقرب إليك من الذي تراه وهذا يُشعر بالطمأنينة والأمن والقرب.

ثانيًا: السمع هو أهمّ من البصر في مجال الدعوة فاقد البصر يمكن أن يبلّغ في مجال الدعوة أما فاقد السمع فيصعب تبليغه.

ثالثًا: الإسراء في الليل والليل آيته السمع. وفي القرآن عندما يأتي ذكر الليل تأتي الآيات بـ ﴿أفلا يسمعون﴾ وعند ذكر النهار تأتي ﴿أفلا تبصرون﴾ فكلّ آية تناسب وقتها فالليل للسمع والنهار للإبصار.

رابعًا: قُدّم السمع على البصر في القرآن إلا في مواطن قليلة منها في سورة الكهف ﴿أبصر به وأسمع﴾ لأن السياق يقتضي ذلك، فقد خرج أهل الكهف فارّين حتى لا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في ظلمة الكهف وفي تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال. وفي سورة السجدة ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ قدّم البصر هنا لأنهم كانوا يسمعون في الدنيا ويكذبون في الآخرة وأبصروا العذاب والحقيقة وقولهم يعني انهم موقنون واليقين لا يتأتى إلا بالإبصار وليس بالسمع ﴿عين اليقين﴾ لأنهم رأوا العذاب عين اليقين. لفتة: وردت كلمة سميع والسميع في القرآن الكريم ٤٦ مرة ووردت كذلك كلمة بصير والبصير ٤٦ مرة.

الخلاصة

(أ) أن الحياة والقدرة والسمع والبصر والحكمة وصفة الخلق كلها صفات وردت في هذه الآية ثم ذكر الكمال في هذه الصفات بكلمة واحدة هي

﴿سبحانك﴾ فالفرد قد يكون سميعًا وبصيرًا وذا قدرة ولكن قد يكون أحمقًا أما كلمة سبحانك فجاءت نفيًا وتنزيهًا لله تعالى عمّا يصفه أهل الجاهلية.

(ب). ارتباط أوّل السورة بآخرها فقد بدأت بالتسبيح وختمت بالتحميد. نعمة الإسراء نعمة عظيمة جليلة فجاء في ختام السورة قوله تعالى ﴿وقل الحمد لله﴾ حمدًا لله على نعمة الإسراء.

(ج). ختمت السورة بالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ وبعد هذه الآية تبدأ سورة الكهف استجابة لهذا القول (قل الحمد لله فافتتحت سورة الكهف بالآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا) وفي قوله في سورة الكهف في آية ٤ ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ رد على آخر سورة الإسراء أنه سبحانه ليس له شريك في الملك. المتوقع أن تختم الآية لأن فيها قوة وقدرة وإظهار لعظمة وغلبة الله سبحانه وتعالى لكن ربنا ختم الآية بشيء يحتاج منا إلى وقفة فقال ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ولم يقل على كل شيء قدير مثلاً؟

(يُتبع)

محمد ذكوان الندوي

عظمة كلمة الإسلام

لا شرف يسمو فوق أن يكون المؤمن عبدًا مخلصًا لله وحده، متبعًا لنهج رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، غير خاضعٍ لسلطانِ شخصٍ أو فكرٍ أو مبدأٍ آخر. وأول ما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة أن يُقرَّ الإنسانُ بوحدانية الله، إلهًا لا شريك له، وأن يعلن ولاءه المطلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل نبضٍ في قلبه، وبكل شعورٍ في روحه. فهي كلمةٌ لا يُضاهيها شيء، إذ لا إله إلا الله، ولا يحقُّ لمخلوقٍ -حيًّا كان أو جمادًا- أن ينال مقام القائد والهادي والإمام كما ناله سيد البشر، محمد صلى الله عليه وسلم.

إن الإهمال أو الجهل بهذه المكانة الاستثنائية لله ولرسوله يُعدُّ تحريفًا وتقليلًا من شأن كلمة الإسلام، بل وخيانةً لسلامتها. فهذه الكلمة ليست مجرد لفظٍ عابر، بل هي فلسفةٌ ثوريةٌ للحياة، تمنح المؤمن الحقيقي الحرية من عبودية كل الآلهة الباطلة، ومن كل أشكال التبعية العمياء. فكأن هذه الكلمة، "كلمة الإسلام"، هي "السجدة الواحدة" التي - كما يُقال - تحرر الإنسان من كل "السجدات."

إن الإيمان بإله واحد يسمو بالإنسان فوق كل الآلهة الزائفة، ويحرّره القبول الصادق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم من قيود التبعية العمياء لأي مرشدٍ مزعوم. فهذا الإيمان، وإن كان يدعو إلى توقير المعلمين والمرشدين، فإنه في الوقت ذاته يرسم حدّا فاصلًا بين الاحترام المشروع والطاعة المطلقة التي لا تكون إلا للنبي الحق، خاتم المرسلين. إنه الإيمان الذي يهدم أغلال العبودية الفكرية، ويحرر الإنسان من أسر التقليد الأعمى، فلا يعود بصره رهينًا بعيون غيره، ولا

يصبح عقله مجرد صدى لفكرٍ سواه، بل ينطلق في آفاق الحرية، مسترشدًا بنور الحق وحده، لا يتبع إلا ما يهديه إليه وحي السماء.

وفي هذا السياق، تتردد في ذهني أبياتٌ قيّمةٌ للشاعر والفيلسوف محمد إقبال:

یہ ایک سجدہ جسے تو گراں سمجھتا ہے
ہزار سجدوں سے دیتا ہے آدمی کو نجات!

(هذه سجدةٌ تراها ثقيلة، لكنها تمنح الإنسان الخلاص من ألف سجدة!)

وأستعير هذا المعنى لأقدمه بتعديلٍ بسيط:

یہ ایک 'کلمہ' جسے تو گراں سمجھتا ہے
ہزار 'کلموں' سے دیتا ہے آدمی کو نجات!

(هذه "كلمة" تعتبرها شاقة، لكنها تحرّر الإنسان من ألف كلمة!)

إن "كلمة الإسلام "هذه هي العقيدة الإلهية، والأيديولوجية الربانية، ومنهج الفكر والعمل الذي يتطلبه دين الله من المؤمن الحقيقي أن يقبله ويتبناه بكل جوارحه. إنها "الشجرة الطيبة "المذكورة في قوله تعالى:

اَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّفَرْعُهَا فِى السَّمَآءِ. تُؤْتِىٓ اُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍۢ بِاِذْنِ رَبِّهَا ... (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

فهي شجرةٌ تمتد ظلالها رحمةً للمؤمنين، لا يطالها الذبول، ولا تعرف الخريف. كما قال إقبال أيضًا:

یہ نغمہ فصل گل ولالہ کا نہیں پابند
بہار ہو کہ خزاں، لاالٰہ الااللہ!

(هذه نغمةٌ لا تخضع لقيود الفصول، فهي "لا إله إلا الله"، في الربيع كما في الخريف!)

إنّ "كلمة الإسلام" هي العهد الأزلي والقرار الحاسم الذي يجلي الحقيقة الناصعة: لا إله في هذا الكون إلا الله الواحد الأحد، ولا معبود بحق سواه، ولا قائد ولا مرشد إلا النبي المصطفى، خاتم الأنبياء، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي اصطفاه الله ليكون المطاع طاعة مطلقة، إذ هو المعصوم عن الزلل، المؤيّد بالوحي الإلهي الصادق. وبهذا المعنى، فإن "كلمة الإسلام" ليست مجرد لفظ ينطق، بل هي ميثاقٌ خالد، وإعلانٌ أبديٌّ للاكتفاء الذاتي الحقيقي، وراية الحرية

التي تحرر الإنسان من كل عبودية زائفة.

(مترجمة من الأردية)

الكاتب: إمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرٹھی
عرض وتقديم: الدكتور محمد غطريف شهباز الندوی

أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟

الحلقة الأولى

(مقطتف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدارسين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة.وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

الحديث الثالث والرابع

(١) قال الإمام البخاري رحمه الله: حدثنا يحي بن بكيرأخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب بن عروة الزبيرعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ،ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار

حراء فجاءه الملك قال: فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: **"اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق ،اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم"**

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق- فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى -ابن عم خديجة- وكان امرأ تنصرفي الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة هذا الناموس نزل الله على موسى ياليتني فيها جزعاً ياليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوَمخرجيّ هم ؟قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا-ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفترالوحي(ص ٣)

واعلم أن قوله ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، قول الزهري بآخر الحديث.

قال ابن شهاب وأخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه :بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر فحمي الوحي وتتابع.

تابعه عبد الله بن يوسف وأبوصالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهري وقال يونس ومعمربوادره (ص ٣)

قوله: تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح يعني أن عبد الله بن يوسف التنيسي وأبا صالح عبد الله بن صالح كاتب ليث روياه عن ليث عن عقيل كما رواه يحي بن بكيرعن ليث. أما عبد الله بن يوسف فأخرج البخاري حديثه في كتاب الأنبياء وتفسير سورة العلق مختصرًا وأما أبو صالح فقال ابن حجرأن يعقوب بن سفيان أخرجه في تاريخه.(فتح الباري) فالضميرالمنصوب في تابعه عائد إلى يحي بن بكير.

قوله: وتابعه هلال بن رواد عن الزهري، الضمير المنصوب عائد إلى عقيل يعني أن هلال بن رداد رواه عن الزهري كما رواه عقيل عنه قال ابن حجر أخرج الذهلي حديث هلال بن رداد في الزهريات (فتح الباري)

قلت قول البخاري هذا قاصر فقد روى هذاالحديث عن ليث خمسة يحي بن بكيروعبد الله بن يوسف وسعيد بن ليث وحجاج بن محمد المصيصي وأبو صالح ورواه عن الزهري أربعة: عقيل ويونس بن يزيد ومعمروهلال بن رداد.

(التراجم)

يحي بن بكير: منسوب إلى جده فأنه يحي بن عبد الله بن بكيرأبو زكريا المصري ثقة ثبت في ليث بن سعد خاصة ضعيف في غيره، روى عن ليث ومالك وبكر بن مصر وحماد بن زيد وغيرهم سمع منه البخاري وروى عنه مسلم وابن ماجة بالواسطة وروى عنه محمد بن عبد الله بن نُميرومحمد بن اسحاق الصغاني وحرملة بن يحي وغيرهم . ولد سنة أربع وخمسين ومأة ومات في منتصف صفر سنة إحدى وثلاثين ومأتين. قال أبو حاتم يكتب حديثه ولايحتج به، وقال النسائي ضعيف ليس بثقة وقال ابن معين ليس بشيئ، وقال ابن قانع مصري ثقة. قلت من تكلم فيه وضعفه ففي حديثه عن مالك خاصة. قال مسلمة بن قاسم تُكلم فيه لأن سماعه من مالك كان بعرض حبيب . وقال ابن معين سمع يحي بن بكير المؤطا بعرض حبيب كاتب الليث وكان شرّعرض.كان يقرأ على مالك خطوط الناس ويصفح ورقتين أو ثلاثة وقال ابن عدي كان جارا لليث بن سعد وهو أثبت الناس فيه وعنده عن ليث ماليس عند أحد وقال البخاري في تاريخه الصغير ماروى ابن بكيرعن أهل الحجاز في التاريخ فإني أنفيه (من

تهذيب التهذيب)

ليث بن سعد: ليث بن سعد بن عبد الرحمن أبوالحارث الفهمي الإمام المصري. ولد بقرقشندة وهي قرية على نحو أربعة فراسخ من الفسطاط سنة أربع وتسعين. فضله الإمام الشافعي وغيره على مالك في العلم والفقه، وكان مجبولا على الجود والسخاء وكان أكبرمن عبد الله بن لهيعة بثلاث سنين وعاش بعده نحوا من ثلاثين سنين. روى عن نافع وابن مليكة ويزيد بن أبي حبيب ويحي بن سعيد الأنصاري وأخيه عبد ربه بن سعيد ومحمد بن عجلان والزهري وهشام بن عروة وغيرهم وروى عنه ابنُ عجلان وهشام بن سعد وهما من شيوخه وابنُ لهيعة وهشيم بن بشير وقيس بن الربيع وعطاف بن خالد وهم من أقرانه وشعيب وابن المبارك وابن وهب ومروان بن محمد وأبوالنضر وخلق كثير.

وكان عامة أهل مصر ينتقصون عثمان رضي الله عنه حتى نشأ فيهم ليث فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا. قدم منصور بن عمار عليه فوصله بالف دينار واحترق بيت ابن لهيعة فوصله بالف دينار ووصل الإمام مالك بن أنس بالف دينار وكتب إليه مالك إني اريد أن أُدخل ابنتي على زوجها فأحب أن تبعث إليّ شيئًا من عصفر، وهو نبت ثمين كالزعفران يُصبغ به ثياب العروس، فبعث إليه ليث ثلاثين حِملا منه فصبغ مالك لأهله ثم باع مابقي بخمسمأة دينار. وكان دخل ليث بن سعد كل سنة ثمانين ألف دينار ولو لم تجب عليه زكاة قط، لأنه لم يكن يدع المال يجتمع عنده فلايزال ينفقه على العلماء والأضياف وفي مصارف الخير.

قال عبد الله بن صالح صحبته عشرين سنة لايتغدى ولايتعشى إلا مع الناس، توفي يوم الجمعة نصف شعبان سنة خمس وسبعين ومأة. وقال ابن أبي مريم مارأيت أحدا من خلق الله أفضل من ليث وماكانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت فيه. (تهذيب التهذيب)

عُقيل بن خالد بن عقيل: (الحفيد مصغروالجد مكبر) أبوخالد الإيلي ثقة ثبت روى عن أبيه وعمه زياد ونافع مولى ابن عمروعكرمة والحسن وسعيد بن أبي سعيد الخدري وسعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت وسلمة بن كهيل والزهري وغيرهم وعنه ابنه إبراهيم وابن اخيه سلامة بن روح والمفضل بن فضالة وليث بن سعد وابن لهيعة ويونس بن يزيد وهو من أقرانه وجابر بن اسماعيل وغيرهم.

مات بمصرسنة إحدى وأربعين ومأة.

محمد ابن شهاب الزهري :ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري أبو بكرالمدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام. يقال له ابن شهاب منسوبًا إلى جد جده ويطلق عليه لفظ الزهري. اختلف في مولده فقيل سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين وقيل سنة ست وخمسين وقيل ثمان وخمسين. روى عن سهل بن سعد وأنس وجابر من الصحابة وسمع منهم وروى عن كثير من التابعين الثقات والضعاف وروى عنه خلق كثير.

قال أبو داؤد جميع حديث الزهري ألفان ومأتان (٢٢٠٠) النصف منها مسند وقدرمأتين من غيرالثقات وقد كان يرسل كثيرًا وكذلك قتادة بن دعامة. وكان يحى بن سعيد القطان لايرى إرسال الزهري وقتادة شيئا ويقول هو بمنزلة الريح. ولم يسمع من عبد الرحمن بن أزهر وأخطأ معمر وأسامة حيث ذكرا عنه أنه قال سمعت عبد الرحمن بن أزهرصرح بذلك الإمام أحمد.ولم يسمع الزهري من عبد الرحمن بن كعب بن مالك ولامن أبان بن عثمان ولم يدركه. وقال أحمد وأبوحاتم وابن معين أنه لم يسمع من عبد الله بن عمروكذلك لايثبت له السماع من عروة بن الزبير. وقال الذهلي لم يسمع الزهري من مسعود بن الحكم وقال أبو حاتم لم يسمع من حصين بن محمد السالمي وقال الدارقطني لم يصح سماع الزهري من أم عبد الله الدوسية. وقال ابنُ المديني حديثه عن أبي درهم عندي غيرمتصل (تهذيب التهذيب)

قلت قال أحمد وأبوحاتم وابن معين لايثبت سماع الزهري من عروة بن الزبير ولكن أكثر المحدثين ومنهم البخاري ومسلم قائلون بسماعه منه. وقد ذكر الزهري في الحديث الذي سمعه من مالك بن أوس بن الحدثان إذا اختصم علي وعباس عند عمر رضي الله عنهم في أرض بني النضير التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير فقال: صدق مالك بن أوس الخ (صحيح البخاري ص ٥٧٦ كتاب المغازي غزوة بني النضير) وفي حديث يونس بن يزيد عن الزهري في بدئ الوحي قال أخبرني ابن شهاب الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير (صحيح البخاري ص ٧٣٩ تفسيرسورة العلق،و

صحيح مسلم ١ص٨٨كتاب الإيمان)

وقال ابن سعد أخبرنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي ثني يوسف بن الماجشون أنه سمع ابن شهاب يقول كنت إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة يصدق عندي حديث عروة فلما تبحرتها إذا عروة بحرلاينزف (طبقات ابن سعد ص ١٨١ذكرعروة الزبير) وكذلك روايات كثيرة تدل على أن الزهري سمع الأحاديث من عروة مشافهة ولكني وجدت أحاديث عديدة رواها الزهري وهشام بن عروة عن عروة فوجدت ماروى هشام صوابا وماروى الزهري خطأً ولو أن الزهري كان سمعها من عروة لم يأت فيها بالأغلاط الصريحة. فيترجح عندي قول من قال إنه لم يسمع من عروة بدون الواسطة، وكان مولعاً بالإدراج في الأحاديث الطويلة فيذكرمالاأصل له.

وكانت للزهري علاقة بأهل السنة والجماعة وبالغلاة من أهل التشيع والرفض، فيروي لهم مالايروي لأهل السنة فكان ذا وجهين، وكان من أبعد الناس عن القرآن فهمًا، لم تتركه مشغلة التحديث والرواية يفهم القرآن وسلبته البصيرة والتفكرفيه، وكان منحرفًا عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها، لايجهربذمها ولكن يدرج في الأحاديث ما يتضمن ذمها. فليكن الذين يريدون أن يعرفوأ صحيح الحديث من سقيمه على حذر من روايات الزهري وليتثبتوا فيها. والمشهورفي وفاته أنه توفي في رمضان سنة خمس وعشرين ومأة وقيل سنة أربع وقيل ثلاث وعشرين.

روايات هذا الحديث وطرقه

(٢) أخرجه البخاري بعين هذا الإسناد مختصرًا: قالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة فجاءه الملك فقال إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم (ص ٧٤٠تفسيرسورة العلق)

(٣) وقال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثني عقيل عن ابن شهاب قال سمعت عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خديجة يرجف فؤاده فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل وكان رجلا تنصريقرء الإنجيل بالعربية. فقال ورقة ماذا ترى فاخبره فقال هذا الناموس الذي أنزل الله

على موسى، وإن أدركني يومك انصرك نصرًا مؤزرًا-الناموس صاحب السر الذي يطلعه بمايسترعن غيره (ص ٤٨٠ كتاب الأنبياء باب واذكرفي الكتاب موسى)

(٤) ثم أخرجه بهذا الإسناد عن ابن شهاب قال سمعت عروة قالت عائشة رضي الله عنها فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خديجة فقال زملوني زملوني فذكرالحديث ص ٧٤٠ سورة العلق)

وقال مسلم حدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث ثني أبي عن جدي ثني عقيل بن خالد قال ابن شهاب سمعت عروة بن الزبير يقول قالت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده فاقتص الحديث بمثل يونس ومعمرولم يذكر أول حديثهما من قوله أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة وتابع يونس على قوله فوالله لايخزيك الله أبداوذكرقول خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك (مسلم ص ٩٠ كتاب الإيمان طبع الهند)

ورواه أحمد عن حجاج عن ليث بن سعد وفيه:

فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده فقال زملونى زملوني،فزمل فلما سُري عنه قال لخديجة ياخديجة لقد أشفقت على نفسي بلاءً قالت خديجة أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا،إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق- فانطلقت بي خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد وكان رجلًا تنصر شيخًا أعمى يقرأ الإنجيل بالعربية فقالت له أي عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ياابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله بالذي رأى من ذلك فقال له ورقة هذا الناموس نزل على موسى ياليتني فيها جزعًا ياليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَمخرجي هم ؟قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وإن يدركني يومك انصرك نصرًا مؤزرًا- مسند ٦ ص ٢٢٣).فرواه عن ليث أربعة:

يحي بن بكيروعبد الله بن يوسف وشعيب بن ليث وحجاج بن محمد المصيصي.

(للبحث صلة)

سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

كلمة سماحة الشيخ ابي الحسن الندوي في ندوة الإمام الفراهي

الحلقة الأولى

[خطاب الشيخ أبي الحسن علي الندوي الذي ألقاه بمناسبة "ندوة الإمام الفراهي" في عام ١٩٩١ في مدرسة الإصلاح، بـ"سرائ مير"، أعظم كره، الهند.]

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

السيد الرئيس، الضيوف الكرام، والسادة الحضور، إن هذا الشرف الذي منحني إياه افتتاح هذا المجلس الكريم الموقر، والاختباري إلى حد ما، يجعلني أعبّر، أكثر من الامتنان والشكر، إن سُمح لي، عن شعورٍ بالخضوع أمام هذا الاختبار الكبير. ولكن إذا كان هناك أي مبرر لذلك، فهو أنني طالب متواضع في مدرسة الشيخ حميد الدين الفراهي ومركزه العلمي والفكري.

وسأقول لكم بكل صدق وأمانة إنه حتى في أيام دراستي، وعندما أتيحت لي الفرصة للتدريس في قسم التفسير في دار العلوم ندوة العلماء، وأُوكل إليّ تدريس التفسير كخادمٍ للقرآن الكريم، درست مؤلفات الشيخ الفراهي بعمق

وجدية وجهد كبير، واستفدت منها على أكمل وجه.

وعندما دعيت من جامعة دمشق ١٩٥٦م، أخذت معي كتب الشيخ الفراهي، وخاصة كتاب "جمهرة البلاغة"، الذي أعجبت به كثيرًا باعتباري طالبًا وباحثًا في الأدب العربي و تاريخ الأدب العربي، ومن حيث كوني متدبرًا وباحثًا، فقد حرصت على أخذه معي خصيصًا. كما طلبت من أحد النقاد والكتاب الكبار هناك، الأستاذ محمد المبارك، الذي كان صديقًا لي وأستاذًا مرموقًا في الجامعة، أن يكتب مقدمةً لهذا الكتاب، وينشره من قبل مؤسسة علمية مرموقة مثل "المجمع العلمي العربي بدمشق". ومن المؤسف أن هذا العمل لم يُنجز. كما أنني قلت أيضًا للمولانا أمين أحسن الإصلاحي (بارك الله في عمره، وقت هذا الخطاب كان الإصلاحي على قيد الحياة ،المترجم) ، بإصرار شديد، في مجلس عُقد في لاهور وجمعني به:

"إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجعل العالم العربي يدرك مكانة الشيخ حميد الدين الفراهي الأدبية، ومعرفته برموز الأدب العربي، واطلاعه العميق على أسراره، هو طباعة كتاب "جمهرة البلاغة". لذا، فمن الواجب نشر هذا الكتاب. ومن المؤسف أن هذا لم يُنجز بعد."

وفي هذا السياق، اسمحوا لي أن أرفع إليكم رسالة شكوى مفادها أن القيمة الحقيقية والفائدة المرجوة من عقد مثل هذه الندوات الأكاديمية تكمن في توسيع الرؤية، والشعور ببعض المسؤولية. ومن المؤسف جدًا أن المولانا حميد الدين الفراهي لم يُعرّف به في العالم العربي كما ينبغي، وليس ذلك بسبب أي قصورٍ في كتاباته أو ضعفه في التعبير أو فكره، وإنما تعود المسؤولية إلينا أيضًا.

وأود أن أشمل ندوة العلماء في ذلك، لأن المولانا لم يُعرّف به في العالم العربي والإسلامي خارج الهند كما ينبغي. ولو حدث ذلك، لرأينا اليوم في هذا الجمع الكريم وجوهًا تنتمي إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، وليس الهند وحدها. ومن المحتمل أن تكون هناك صعوبات إدارية أو ضيق في الوقت حال دون ذلك، ولكن العامل الرئيسي في هذا التقصير هو أن التعريف به في العالم العربي، سواء في مصر أو سوريا أو المغرب، لم يكن بنفس الطريقة التي تم بها تعريفه في الهند وشبه القارة الهندية.

إن هذه مسؤولية خريجي مدرسة الإصلاح، وأعتبرها أيضًا مسؤولية خريجي ندوة العلماء، لأنهما في الحقيقة جزءان من عائلة واحدة. والحمد لله، منذ البداية وإلى الآن، كان لديّ هذا الشعور العائلي، ولذلك فإن هذه المسؤولية تقع علينا جميعًا، وعلينا أن نؤديها على أكمل وجه.

وأود هنا أن أذكر العلامة الشوكاني، أحد كبار علماء القرن الثاني عشر، والناقد الكبير المعروف بكتابه الاجتهادي الدقيق "نيل الأوطار". وهو أيضًا من المفسرين، وصاحب كتاب "فتح القدير". فقد كتب نكتةً لطيفة أود أن أطلعكم عليها، حيث قال:

"إن المعارف الإسلامية أربعة أنواع: نوعٌ نضج واحترق، ونوعٌ نضج ولم يحترق، ونوعٌ لم ينضج ولم يحترق."

أما العلم الذي نضج واحترق، فهو علم النحو، إذ لم يعد فيه مجالٌ للزيادة أو التغيير. لقد تم إنجاز الكثير من العمل في مجاله بحيث يمكن لأي شخص الآن أن يقول إن هذا المبدأ خاطئ، وأن هذا المبدأ يجب أن يكون صحيحًا وأن هذا الافتراض غير صحيح، وأن هذا الافتراض يجب أن يكون صحيحًا، وأن هذه المشكلة خاطئة في بناء الجملة .فهذا كان عمل العرب خصيصًا، وعمل أهل اللغة، ثم بعد أهل اللغة، عمل العباقرة في أهل زمانهم وقد اكتمل بفضل جهود أئمة اللغة، ومن بينهم سيبويه، الذي أرسى قواعده. وربما قال أيضًا (إن لم تخني الذاكرة)، أن يكون علم الحديث أيضًا قد وصل إلى هذه المرحلة حيث استقرّت قواعده ولم يعد هناك مجالٌ لإضافة جديدة فيها.

وأما العلم الذي نضج ولم يحترق، فهو علم الفقه، حيث أن تطور الحياة البشرية، وتجدد الحاجات الإنسانية، وتغير الأعراف، كلها أمورٌ تستدعي بقاء باب الاجتهاد مفتوحًا.

وأما العلم الذي لم ينضج ولم يحترق، فهو علم التأويل والتفسير، وليس هذا تقليلًا مما أُنجز فيه، وإنما لأنه متعلقٌ بعلم الله تعالى، وبحياة الإنسان والكون، فلا يمكن أن يُحصر أو يُحدّ بزمانٍ أو مكان.

إن التفسير علمٌ قابلٌ للتوسع والتجدد، وهو دائم التطور مع تغير الفكر الإنساني وتبدل الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية. وفي هذا السياق، أرى

أن إمام التفسير في عصرنا هو العلامة حميد الدين الفراهي.

وتدل آيات القرآن الكريم على أنه ليس مقيدًا بزمان أو مكان، فقد قال الله تعالى في سورة إبراهيم:

اَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اَصۡلُهَا ثَابِتٌ وَّفَرۡعُهَا فِى السَّمَآءِ. تُؤۡتِىۡۤ اُكُلَهَا كُلَّ حِيۡنٍۢ بِاِذۡنِ رَبِّهَا ؕ وَيَضۡرِبُ اللّٰهُ الۡاَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُوۡنَ. (٢٤-٢٥)

وهذا يعني أن القرآن مستمر في عطائه، يستجيب لكل عصر وفق حاجاته ومستوى فكره. ولذلك، فإن علم التفسير هو أوسع العلوم الإنسانية، ولا يمكن أن نعتبره علمًا منتهيًا أو مكتملًا.

لقد كان مفسرونا العظام، ومن بينهم العلامة حميد الدين الفراهي، يدركون هذه الحقيقة بعمقٍ ونفاذ بصيرة. ولم أزعم يومًا أن مجال التدبر في القرآن الكريم قد بلغ منتهاه، بل أرى أن الأفق لا يزال مفتوحًا، وأن في كنوزه الكثير مما لم يُكتشف بعد، وما زالت أسراره تنتظر العقول المستنيرة والقلوب المتدبرة.

وقد عبّر الشاعر محمد إقبال عن هذا المعنى ببيتٍ فارسي يقول فيه:

گماں مبر ک به پایاں رسید کار مغاں

هزار باده ناخورده در رگ تاک است

(لا تظنّ أن من سبقك قد قام بعمله واستوعب وأمر الحانة قد بلغ نهايته، فما زالت هناك آلاف القِطَف التي لم يُعتصر خمرها بعد في كروم العنبة)

ورغم أن هذا التشبيه ليس جيدا وليس الأقرب إلى طبيعة الموضوع، إلا أنه من استعارات الشعر التي تعكس فكرة التجدد والاستمرار. والمراد أن علم التفسير لم يصل إلى غايته النهائية، بل أمامه آفاقٌ واسعة لم تُستكشف بعد، وأن النبع القرآني لا يزال متدفقًا، يسقي العقول ويحيي الأرواح، جيلاً بعد جيل.

وفي الختام، أقول لكم، بصفتي خادمًا للعلم ورحّالًا في دروب المعرفة، إن من واجبنا أن نعترف بفضل هذا العالم الرباني، الإمام حميد الدين الفراهي،الذي وُفق في أثراء علم التفسير بإضافاتٍ جليلة، والكلمة الصحيحة هي أن الشيء الحقيقي هو الهداية الإلهية والتوفيق الإلهي. فإذا لم يكن هناك هدى إلهي وتوفيق إلهي، ولا إخلاص، ولا خوف من الله، ولا واقعية ولا بحث عن الحقيقة فيه، فلن

يكون له قيمة كبيرة ولا فائدة، بل إن فائدته مشكوك فيها. وأقول بكل وضوح إن إمام التفسير العلامة حميد الدين الفراهي في ذلك الوقت، يمكن القول إنه ماقام به الفراهي وأتي بالكثير الجديد، فهو الذي لم يسبق له وله جوانب عديدة من التفرد والاختصاص.

وينبغي أن ينال حظه اللائق من الاهتمام والبحث في العالمين العربي والإسلامي، ليضيء دروب الفكر كما أضاءها في زمانه، ولتبقى بصماته منقوشةً في سجل العلماء المجددين.

صاغه باللغة العربية : أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

(للحديث صلة)

الكاتب: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي
عرض وتقديم: الدكتور محمد غطريف شهباز الندوي

بحث في سبب نزول قوله تعالى: "اِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ" هل كان وليد بن عقبة فاسقًا؟

الحلقة الثالثة والأخيرة

رواية ابن عباس في ذلك:

قال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي عن أبيه عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن ابى معيط إلى بني المصطلق لياخذ منهم الصدقات وإنه لما اتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوارسولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما حُدِّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله، إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذا أتاه الوفد فقالوا يارسول الله إنا حُدثنا أن رسولك رجع عن نصف الطريق وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منک فغضبت غضبة علينا- فانا نعوذ بالله من غضب الله و غضب رسوله فأنزل الله عذر في الكتاب فقال: "يايها الذين اٰمنوا إن جاء كم فاسق".[1]

إن إسناد هذا الحديث مظلم جدًا. أولاً: إن ابن جرير الطبري لم يلتق محمد

[1]- تفسير ابن جرير الطبري، سورة الحجرات، الجزء الحادي والعشرون، بتحقيق: د، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث للدراسات العربية والاسلامية بدار هجر للنشر والتوزيع، ص٣٥٠-

بن سعد قط، لأنه عندما توفي محمد بن سعد ببغداد سنة ٢٣٠ هـ كان ابن جرير في السادسة من عمره، ويقيم في بلدته آمل وهي بلدة في طبرستان .فكيف يصح قول ابن جرير عن محمد بن سعد؟ ولكن ابن جرير ثقة موثوق به، فلا يبقى إلا أمران :فإما أن هذا الحديث ملحق ، أدخله أحد في تفسير ابن جرير، أو أن كلمة "حدثني" زيادة خاطئة من بعض النساخ، ثم إن علماء الرجال لا يعرفون أسماء أغلب آباء وأجداد محمد بن سعد المذكورين في هذا الإسناد، فضلًا عن أحوالهم وهل هم موثوقون أم لا !لذلك فإن هذا

الحديث غير موثوق، وربما يكون موضوعًا.

أيها الدارسون، لقد اقتبست هذه الروايات كاملة لأنها توضح تحريف المولانا المودودي. وقد قال المودودي: قد ورد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث قوة لقمع بني المصطلق، وفي بعضها الآخر أنه كان على وشك أن يرسل قوة .ولكن الجميع يتفقون على أن الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق والد أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها وصل بنفسه مع وفد لخدمة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأثناء. ولكن القارئون يلاحظون أن جميع هذه الأحاديث، بما في ذلك أحاديث قتادة، ومجاهد، ويزيد بن رومان، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأم سلمة، وابن عباس، لا تذكر الحارث بن ضرار. ومن المدهش جدًا كيف اجترأ المودودي على هذا البيان الكاذب الصارخ الذي لم يكتبه أحد قبله. وربما خُيل له أنه مَن من القراء سوف يدرس هذه الروايات وينقدها. لذلك سوف تكون كتاباتي موثوقة.

ولم يذكر الحارث إلا في حديث واحد، وهو المروي عن الحارث نفسه. وقد رواه الإمام أحمد. يقول:

> حدثنا محمد بن سابق ثنا عيسى بن دينار ثنا أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الاسلام فد خلت فيه وأقررت به فدعاني إلى الزكاة فاقررت بها، وقلت يارسول الله أرجع إلى قومي فادعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيُرسلُ إليّ رسول صلى الله عليه وسلم رسولا بأن كذا وكذا، لآتيک ما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابّان الذي أراد رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عزوجل ورسوله فدعا سروات قومه فقال لهم إن رسول صلى الله عليه وسلم كان وقّت لي وقتا يرسل إليّ رسوله ليقبض ماكان عندي من الزكاة وليس من رسول الله الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلِقوا فنأتي رسول صلى الله عليه وسلم، وبعث رسول صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ماكان عنده من الزكاة. فلما أن سار الوليد حتى بلغ ببعض الطريق فرق فرجع فاتى رسول صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فاقبل الحارث بأصحابه، اذا استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث قالوا هذا الحارث، فلما لقيهم قال لهم إلى مَن بُعِثتم؟ قالوا إليک- قال ولم؟ قالوا: إن رسول اللهﷺصلى اللهعليه وسلم كان بعث إليک الوليد بن عقبة فزعم أنک منعت الزكاة وأردت قتله. قال لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منعت الزكاة وأردت قتل رسولي. قال والذي بعثک بالحق مارأيته ولا أتاني. وما اقبلتُ حين احتبس على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عزوجل ورسوله، قال: فنزلت الحجرات :ياأيها الذين اٰمنوأ إن جاءكم فاسق . (رواه أحمد في مسنده ٤/٢٨٩)

وفي إسناد هذا الحديث أن والد عيسى بن دينار هو دينار، وهو رجل مجهول مستور .قال ابن المديني: عيسى مشهور، ولا نعرف أباه دينارًا. وقد ثبت عن البخاري أنه وثق عيسى بن دينار. [٢]

والحديث الوحيد الذي روي عنه هو هذا الذي رواه ابنه عيسى. وهذا يثبت أنه لم يكن رجلًا عالماً بل كان رجلًا الكل ماعنده أن يتذكر هذا الحديث الواحد، وهو عديم الفائدة ويمكن اعتباره شخصًا غير عارف بالعلم. وأما الحارث بن ضرار الخزاعي فهو أيضًا مجهول لا يعرف. وفي مسند أحمد هو الحارث بن ضرار، ورواه ابن الأثير الجزري في "أسد الغابة" بطريق الإمام أحمد. وفيه الحارث بن أبي ضرار. ويرى الحافظ ابن كثير

---

[٢]- انظر: تهذيب التهذيب٨/١٨٨، دارالفكر،بيروت،الطبعة الاولى، ١٩٨٤ء-

أن هذا هو الحارث بن ضرار والد أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها وصهره صلى الله عليه وسلم. -[٣]

وقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في "الاستيعاب في تذكرة الأصحاب" أن راوي هذا الحديث الحارث بن ضرارهو رجل آخر. والد أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها هو الحارث بن أبي ضرار ، وهذا يعني أن ابن الأثير قد أخطأ في ذكر الحارث بن أبي ضرار في إسناد هذا الحديث. "وينبغي أن يكون الحارث بن ضرار، كما في مسند أحمد."

وأقول: هذا الحارث بن ضرار الخزاعي مجهول. وإذا كان هناك شخص اسمه الحارث بن ضرار من قبيلة بني خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يُعرف إلى أي فرع من تلك القبيلة كان ينتمي. وعلى كل حال فهو ليس من بني المصطلق، وبنو المصطلق فرع من قبيلة خزاعة أيضًا، وقصة إسلام هذه القبيلة معروفة. أي أن هذه القبيلة كانت قد ناصرت مشركي مكة في غزوة الأحزاب، ولذلك قاد النبي صلى الله عليه وسلم جيشًا ضد هذه القبيلة في شعبان سنة ست من الهجرة. وكان هناك قتال قصير، لكن رجال هذه القبيلة فروا سريعًا. فأسرت نسائهم وأطفالهم. ومنهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق. ولما وصل رسول الله المدينة اتخذها زوجة له. فأعتق عامة المسلمين جميع أطفال ونساء هذه القبيلة الذين قد تم تقسيمهم بينهم في الغنيمة، وقالوا إنهم أصبحوا الآن أصهاراً للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فلن نبقيهم في عبوديتنا. وعندما وصل هذا الخبر إلى قوم بني المصطلق الذين فروا من المعركة، فجاؤا جميعًا وأصبحوا مسلمين طواعية، ومنهم الحارث بن أبي ضرار. والآن يتبين أن القصة التي رواها الحارث بن ضرار الخزاعي عن إسلامه وإسلام قومه، الموجودة في هذا الحديث، تختلف تماما عن قصة إسلام بني المصطلق. وأظن أن دينار الكوفي سمع روايات قتادة ويزيد بن رومان وغيرهما. وتصرف فيها ثم وصفه بطريقة معاكسة كما بداله. ولذلك فمن الخطأ أن يصرح المودودي بشكل قاطع بأن الحارث هو والد جويرية رضي الله عنها. وهذا التفصيل يوضح لنا جليا

٣- البداية والنهاية ١٨٢/٨، بتحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث للدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للنشر والتوزيع-

أن الذين اعتمدوا على هذه الروايات الضعيفة، ونسبوا الآية (إذا جاءكم فاسق بنبأ) إلى نزول هذه القصة، وأن الفاسق هو الوليد بن عقبة، قد وقعوا في خطأ فادح.

و في نهاية هذا البحث أود أن أقول للدارسين والقارئين شيئًا آخر، وهو أنه مستحيل قطعًا حتى لو كان مقبولًا أن الوليد بن عقبة كان يستحق من حيث عمره في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى منصب المسؤولية ويبعث أمينًا للتحصيل. فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف فسقه؟ وأنه عاري من الصلاح والتقوى؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال بالإيجاب، لأنه من المستحيل تمامًا أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم من كان ظاهر الفساد والمعروف بالفسق أمينًا للتحصيل. فإذا كان الوليد بن عقبة هو الذي أرسلته إلى بني المصطلق مستشارًا أمينًا فإنه لم يكن رجلًا فاجرًا ظاهرالفسق. ويبدو أنه كان صالحًا وتقيًا، بل لابد أن يكون على درجة عالية ولوقليلة من مستوى عامة المسلمين في البر والتقوى، وعندئذ فقط أعطي هذا الأمر. وهذه الآية من سورة الحجرات تأمر المسلمين في رجل ظاهرالفسق، لا يبالي بأحكام الحق فيما يأتيهم من أخبار ألا يصدقوها حين يسمعوها، بل أن يتحققوا منها. لأن إذا كان المخبر شخصًا فاسدًا، فمن الممكن أن يكون هو من فبرك الخبر بنفسه. فالآية هنا تتحدث عن المُخبِر الذي هو آثم مبين وفاسق ظاهر. من كان معلومًا عنه البغي والفسق، ولم يكن الوليد فاسقًا ظاهرًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولذلك فإن هذه الآية لا تتناول الوليد مطلقًا، وليس هناك تناسق بين النازل وشأن النزول. فإذا ورد شأن نزول لِآية، ولم يكن بين الآية وبين شأن نزولها أي توافق، وجب رفض ذلك الشأن. أي لا يفهم من الآية أنها نزلت في هذاالشأن، فلو قال قائل مثلاً: إن الآية :إياك نعبد وإياك نستعين، نزلت في أجل العدة، وهو أربعة أشهر وعشرة أيام، فهو هراء. كلامه خاطئ تمامًا، وبناءً على هذا الدليل يجب التسليم بأن شأن نزول الآية (إذا جاءكم فاسق بنبأ) هذا خاطئ محضًا.

قد انتشرت هذه القصة المكذوبة تمامًا عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه، لأنه في عهد عثمان اتهم بشرب الخمر، وفرض عليه حد شرب الخمر. وقد وجه

إليه أعداؤه هذا الاتهام كجزء من مؤامرة كبيرة، وكان الشاهدان اللذان شهدا عليه قد أدليا بشهادة زور واضحة. وقد كتبنا عن هذه الحادثة الأليمة مع شرحها وتفصيلها في كتابنا: إرشاد الطالب، شرح مسند علي بن أبي طالب (بالأردية).[٤]

[٤]- وفي كتاب له آخر وهو "خلفية تاريخية لمقتل عثمان رضي الله عنه "أيضا موجزاً ص٣٧ -٦٤.

الدكتور عمار خان ناصر/ الدكتور مطيع الرحمن

دراسة سنن ابن ماجة

(الاستفسارات المتعلقة بأحاديث سنن ابن ماجة وإجاباتها)

(٢)

مطيع سيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورًا معينة في الصلاة في أوقات مختلفة. فهل لهذه الصلوات علاقة خاصة بتلك السور؟[١]

عمار ناصر: أعتقد أن الأمر يتعلق بالذوق، نعم ربما قد يكون لها ارتباط ببعض السور ، فمثلاً لو قرئت سورة الجمعة يوم الجمعة لكان لها ارتباط روحي، ولكن لا حاجة إلى مثل هذا الارتباط الخارجي، فقد اعتاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأها حسب ذوقه.

مطيع سيد: إن بعض الأعمال المستكرهة في الصلاة كالبصق والبول والحيض والنفاس، يقال إن هذا كله من الشيطان.؟ ففي الأحاديث كثيرًا ما تنسب مثل هذه الأمور إلى الشيطان، مع أنها من الأمور الطبيعية، فلماذا نسب النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية للشيطان، مع أن هذه الأمور بظاهرها لا علاقة لها بالشيطان؟

عمار ناصر: نعم، هذا صحيح، هذه أشياء طبيعية ومادية، ولكنها أيضًا تحمل

---

[١]- كتاب اقامة الصلوٰة و السنة فيها، باب القراءة في صلوٰة المغرب، رقم٨٣١-

جانبًا من القذارة أو النجاسة. وقد عُلّمنا هذه الادب أن ننسب الخير إلى الله والشر إلى الشيطان. هذا الأسلوب سوف يبدو عاديا بالنسبة لكم ولكن له مكانة وأهمية فيما يخص بالأنبياء والمرسلين والصالحين. فمثلاً نسي خادم النبي موسى عليه السلام خروج السمك فقال: "وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره".٣ ولما أصيب أيوب عليه السلام بالمصائب قال: "قد مسني الشيطان بنصب وعذاب؛ : أي مسني الشيطان بالبلاء. والشيطان يحب أن يختبر الإنسان، فيفعل ذلك مثلاً بخلق الوساوس أثناء الصلاة وتذكيره بأشياء أخرى. ولذلك فإن كل ما هو سيء ينسب إلى الشياطين، لأنهم سبب كثير من السيئات، ويتلذذون بأشياء كثيرة منها، وفي كثير من المواضع ينسب هذا الإسناد إلى الناس أيضًا لتحذيرهم من شرور الشياطين.

مطيع سيد: هل يمكن أن يكون القصد أيضاً أن من يبصق في الصلاة لا يبصق منذ اليوم؟

عمار ناصر: نعم، المقصود هو استكراه هذا الفعل أثناء الصلاة، أي قيل لهم لأن البصاق أمرغير سار فامسكوه. كأنه يُفهم المصلين أن الشيطان يجعلنا نفعل هذا، لذلك دعونا لا نفعله.

مطيع سيد :عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يطوي يديه فيضعهما بين فخذيه إذا ركع أي طبق في الصلاة.٥ وقد ذكر العلامة وحيد الزمان في موضع من شرحه على ابن ماجة أن التطبيق في الركوع كان قد نسخ، ولكن ابن مسعود لم يعلم ذلك وبقي على اقتناعه. ثم أضاف قائلًا: إن الحنفية تركوا مذهب ابن مسعود رضي الله عنه في كثير من المسائل، مثل غسل الجنابة، ووجوب زكاة مال اليتيم، ونقض الوضوء بمس المرأة، ولكنهم الحوا واصروا على مذهبه في مسألة رفع اليدين، على أن هناك أمور كثيرة ظلت خافية على صحابي مثل عمر رضي الله عنه، فماذا نقول عن الباقين؟ قاله وحيد الزمان. ولكن يخطر ببالي أنه إذا كان هذا صحيحًا، فلا بد أن يكون رفع اليدين قد صار رمزًا لمدرسة فقهية في وقت متأخر جدًا، ولكن هذا لم يكن الحال في الفترة المبكرة. إن سبب التخلي عن ممارسة أو تبني رواية ما لا يكون بسبب الانتماء إلى جماعة أو طائفة معينة. ففي هذا السياق لا يبدو اعتراضه صحيحًا.

عمار ناصر: في الواقع، فإن أدبيات المناظرة التي نشأت حول هذه القضية في القارة الهندية قدمت أسبابًا فريدة جدًا للترجيح والتفضيل، والتي لا علاقة لها بالآثار والروايات الفقهية أيضًا. مثلاً تُناقَش هذه الأمور بانتظام، ويقال حسنًا، لقد جاء الحديث في كذا، لكن يجب أن نرى أي عمل يرويه في ذلك صحابي آخر. فهذا عبد الله بن مسعود يقول كذا وعبد الله بن عمريقول بخلافه. إذن، فيصار إلى أن ننظر أن من لديه منهما أكثر أمثلة للنسيان أو عدم العلم بالحديث المروي. فهذا ليس نقدًا أكاديميًا للروايات والآثار. بل هذا يثبت تفوق الرواية من خلال إثبات أفضلية الراوي. وفي هذا السياق فإن المعترض محق من جهة أنه يقول إن أشياء كثيرة كانت مخفية على عبد الله بن مسعود أيضًا، لأنه لم يكن يعلم الأحكام المنسوخة كلها، ولكن الحنفية أعجبهم امتناعه عن رفع اليدين فتشبثوا به.

مطيع سيد: لي سؤال آخر فيما يتعلق بالرواية، خذ ابن ماجة مثلًا، فإنه يروي حديثًا وأحيانًا يقول في آخره أن فلانًا ضعيف فيه. وأما الحديث الذي لا يعلق عليه فكأنه يعتبره صحيحًا ويكتفي برواته، ولكن هنا سؤال آخر الحديث الذي يقول فيه هو ضعيف أوإن فلاناً ضعيف فيه فلماذا يذكرذلك الحديث إذن؟

عمار ناصر: في الأصل لم يذكر الإمام ابن ماجةالأصول التي بنى عليها كتابه، كما ذكر الإمام الترمذي أصوله، فمن الممكن أن يكون قد حذّر من راوٍ معين، ولكنه يكتفي بصحة الرواية من طريق آخر أو دليل آخراطمئن به.

مطيع سيد: وكأنه أصبح راضيًا عن صحة الرواية التي يتبنيها هو؟

عمار ناصر: هذا أيضًا يمكن التكهن به، فمن الممكن أن يكون هذا هو مبدأه، ومن الممكن أيضا أنه إذا كان هناك حديث يتعلق بموضوع ما فإنه يقوم بروايته للتعرف عليه. فعلى سبيل المثال يأتي الإمام أبو داود بجميع الأحاديث المهمة المتعلقة بموضوع ما. ويقول لنا أيضًا إن هذا ضعيف، ولكنه يرى أنه من الضروري إخراج الحديث كهذا.

مطيع سيد: عندما أخرج الإمام ابن ماجة حديثًا في كتابه كان ظاهره مقبولًا عنده، ولكن الشارحين المتأخرين قالوا: إن فلانًا في هذا الحديث ضعيف، أي أنهم تعمّقوا في التحقيق فيمابعد، والفقهاء عندما يأخذون الأحاديث نقول

عنهم: إنه من الممكن أن يكون هذا الحديث قد وصل إليهم بسند صحيح، ولكن السند الذي وصل إلينا منه ضعيف، أليس هذا هو نفس المبدأ الذي ينطبق على أئمة الحديث؟ وقد انتقد الشارحون المتأخرون كثيرًا من الرواة، مع أنه كان ذلك فن المحدثين أيضًا، وكانوا يأخذون الرواية بعد تمحيص شديد.

عمار ناصر: كلامك هذا يحمل بعض الوزن بلاشك، باعتبار أن الأحاديث المعتبرة عند الفقهاء في ذلك العصر، وإن كانت لا تتفق مع الصحة في ضوء ما وضعه علماء الحديث من أصول، إلا أننا لا نستطيع أن نقول إن طرق أو أسانيد نقل الحديث هي نفسها المسجلة في الكتب، ولا يكون غيرها. وإذا أعطينا أي إمام في الحديث موقفًا متوسعًا علميًا أو حاولنا أن نفهم موقفه على طريق التوسع، فإن هناك احتمالًا كبيرًا في أن من كان فقيهًا أو عالماً بالحديث، مهما كانت المعايير التي وضعها لصحة الحديث، إذا رضي بها، فإن له الحق في تبنيه. وبطبيعة الحال، إذا لم يصل إلينا عن طريق هذه الوسائل، فإنه لا يلزمه ما علمناه فيما بعد من تحقيق وتثبت. من هذا المنظور، هذا صحيح، ولكن من منظور آخر، ترى أنه إذا كان علينا أن نقوم بالبحث اليوم، فسوف نعتمد على المواد التي وصلت إلينا. ولا يمكننا تغيير معيار البحث بسبب احتمال افتراضي. لذا، يمكن أن ننظر إلى هذه المسألة من زاويتين مختلفتين تمامًا.

مطيع سيد: من المثير للاهتمام أيضًا أن الفقهاء قاموا بهذا العمل أولًا ثم جاء علماء الحديث بعدهم. ولو كان علماء الحديث قد قاموا بعملهم أولًا ثم يجيئ علماء الفقه بعدهم، فربما كان الوضع مختلفًا تمامًا.

عمار ناصر: نعم لو كان الأمر كذلك لربما كانت الأمور مختلفة، ولكن العملية التاريخية لا تتم من خلال ترتيب منسق مسبق كهذا.

مطيع سيد: لقد ذكرتَ أيهاالأستاذ ذات مرة أنك اعتدتفي وقت ما على العمل برفع اليدين. هل توقفت عن العمل به بعد ذلك أم لا تزال تفعله؟

عمار ناصر: في وقت من الأوقات كان هناك رد فعل لديّ ساقنى إلى نتيجة أنه إن كانت أحاديث رفع اليدين هي الأصح، فيجب اتباعها. وخلال تلك الفترة مارست رفع اليدين لبعض الوقت. ولا أزال أفعل ذلك في بعض الأحيان. وخاصة عندما نكون في الحرم، فهناك جو مواتي له، وتريد أن تفعل ما يفعله الآخرون.

وأرى في صلاة الجنازة أيضًا أن رفع اليدين يجب أن يكون مع التكبير، لأنه ليس هناك علامة أخرى ظاهرة مثل الركوع مؤشرة على الانتقال من الركعة الواحدة.

مطيع سيد: هناك رواية تقول عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جميلة كانت تأتي المسجد للصلاة. فكان بعض الناس يجلسون في الصفوف الأولى حتى لا يرونها، وكان آخرون يجلسون في الصفوف الأخيرة عمداً حتى يرونها، فنزلت الآية:

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِيْنَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِيْنَ. (الحجر١٥: ٢٤)[٢]

فالسؤال هنا أن ابن عباس نفسه هو مفسر القرآن، وله فهم كامل ودقيق له فإذا فكرت في الأمر قليلاً، فإن سياق هذه الآيات يبدو مختلف تمامًا، والمسألة لا تتوقف عند هذا الحد. ولا يبدو أن مفسرًا كبيرًا للقرآن كابن عباس قدقالها، ولا يُعقل أن يقال إن السياق لم يؤخذ بعين الاعتبار عند الصحابة.

عمار ناصر: في هذا الصدد، إذا أخذت كلام الشاه ولي الله والزركشي وغيرهما، الذين نظروا في روايات أسباب النزول، يقولون إن هذا ليس ما قصده الصحابة في الواقع، يعني أنهم لم يكونوا يصفون شأن نزول الآيات في الواقع. إنهم في الواقع يستشهدون بها. أي أنه إذا كان من الممكن أن تنطبق ألفاظ آية من القرآن الكريم على حدث معين، ويمكن أن تستخدم في بيان ذلك الحدث، فإن الصحابة كانوا يذكرون هذه الآية بياناً له واستشهادا منها، ولكن يعبرونها على أنها نزلت في ذلك الحدث، ولكن لا يقصدون بذلك وصف الجانب التاريخي لذاك الحدث أو لشيء ما.

مطيع سيد: قد قيل "إن ما بين العبد والكفر ترك الصلاة" أو بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة.[٣] ويبدو لي أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما قال هذا من باب التمييز بين المنافقين والمسلمين، وخاصة في بيئة المدينة المنورة

---

[٢]- كتاب اقامة الصلوٰة و السنة فيها،باب الخشوع في الصلوٰة، رقم ١٠٤٦-

[٣]- كتاب إقامة الصلوٰة و السنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلوٰة، رقم١٠٧٨- أخرجه مسلم أيضًا.

حيث كان المنافقون موجودين فيها أيضًا، ولكن عند فقهائنا يؤخذ ذلك على حقيقته تمامًا. وقد كفر الإمام أحمد وأصحاب الحديث من ترك الصلاة. وعند مالك والشافعي يجب قتله، فإنه كالمرتد إذا لم يتب. وعند الإمام أبي حنيفة لا يكون كافرًا، ولكنه يقترب من الكفر، ألم يفكر أحد في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا في بيئته الخاصة، وأن هذا قد يكون هو المعيار الظاهر هناك؟

عمار ناصر: ليس هذا حديثًا واحدًا هو الذي أثار قلق الفقهاء. هناك أحاديث مختلفة جاءت في بيان أهمية الصلاة، وهناك ما يوضح أهمية الصلاة في الدين، مثل هذا الحديث الذي يقول: "ما بين العبد والكفر ترك الصلاة" أي إن الإنسان المسلم في الواقع لا يعرف إلا بصلاته. إن الإنسان المسلم الذي لا يصلي لا يبالي أن الله فرض عليه فريضة يجب أن يؤديها، فما الفرق بينه وبين الكافر؟ فالحديث هنا يصف هذا الجانب، أما الجانب الذي يجعل الفقهاء الأمر قانونيًا من خلاله فهو أمر آخر، وهو أن القرآن الكريم وضع هذا الشرط أيضًا، ووضح النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا أن الذين أصبحوا مسلمين الآن فهناك شروط ظاهرة يجب أن تتوفر فيهم لكي يعتبروا مسلمين شرعًا وقانونًا، ويصان أرواحهم وأموالهم، واثنان من هذه الشروط هما إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإذا أعلنوا إسلامهم، ولم يلتزموا حتى بهذين الأمرين من شرائع الإسلام، فعلى أي أساس نعتبرهم مسلمين شرعًا؟ وقد أثار هذا في الواقع جدلًا بين رجال القانون والفقهاء الذين قالوا إن هذا القول وإن كان يتعلق بالمجموعات، فإنه ينطبق على الأفراد أيضاً. أين نضع من يعيش بين المسلمين وينطق بكلمة الشهادة وهو مسلم بالاسم ولكنه لا يصلي أصلًا؟ فمن هنا نشأ هذا البحث والجدل بين الفقهاء.

مطيع سيد: ولكن عندما أنظر إلى هذا الحديث من وجهة نظر مجتمعنا اليوم، أواجه مشكلة أننا جميعاً مسلمون، ونعرف حكم الصلاة، ولكن بسبب الكسل أو قلة الرغبة فإن أغلب الناس لا يصلون. فماذا يكون حكمهم؟

عمار ناصر: هناك أمران متباينان: أحدهما أن أهمية الصلاة في الدين هي ما جاء في الحديث. لا يوجد فرق في هذا الجانب. وحتى اليوم عندما نشرح أمام الناس الوضع الديني للمسلمين الذين لا يصلون فإننا نقول نفس الشيء. ولكن

مبدأ المصلحة يدخل في تطبيق أحكام تارك الصلاة عليهم شرعًا، ولذلك ناقشه الفقهاء ، ولكن لا أحد يطبقه. فيصبح التنفيذ القانوني شيئًا آخر.

مطيع سيد: في مجتمعنا اليوم، لا يبدو أن المناقشات الفقهية ممكنة انطباقها.

عمار ناصر: إنها تبدو غير ممكنة لأن النتيجة الفعلية التي ترمي إليها مثل هذه المبادرة لا يمكن أن تتحقق في ظروفنا. فالهدف هو جعل المسلمين يلتزمون بالصلاة. والظروف هنا غير مواتية لذلك، فلا يمكنك أن تجبر الجميع على الصلاة، بل سيكون لذلك تأثير عكسي سلبي، ولكن المبدأ موجود. ولنفترض أن كل هذه الجوانب من التعليم والوعظ والدعوة تتواجد وتتوفر في وقت ما، وأن الدولة تأسست حقاً على المبادئ الإسلامية، فإنها تستطيع أن تؤاخذ الناس عليها عندئذ. فإذا لم يصل بعض المسلمين، فإنها تستطيع أن تستجوبهم عليه.

مطيع سيد: طلب النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه من أبي بكر أن يصلي بالناس ، فقالت عائشة: إنه رجل فيه رقة، فأمر عمر بذلك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنتن صواحب يوسف٤. ماذا يقصد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا؟

عمار ناصر: إن النبي صلى الله عليه وسلمة قصد بذلك أنني أنا أريد شيئًا آخر ولكنكِ تحاول أن تفعّل ما تريدين. أريد أن يعلم الناس أن أبا بكر هو الذي سيتولى الإمامة من بعدي ، ولكنكِ تستخدمين منطقكِ الخاص. فهذه جملة عتاب وتوبيخ.

مطيع سيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة: ما من رجل صلى عليه أربعون مؤمنًا إلا وجبت له الجنة.٥ ولكن طبيعة الدين أن يغفر للإنسان حسب عمله، فماذا يكون توجيه لكلام للنبي صلى الله عليه وسلم هذا؟ هل اجتماع مائة شخص ولو كانوا صالحين يغفر للعبد؟

عمار ناصر: هناك أمر ينبغي أن يوضع في الاعتبار في روايات جاء فيها هذا المضمون وهو أن الحديث عن المغفرة من أي فعل مشروط بشرط أساسي وهو أن لا يكون هناك مانع من المغفرة في ذلك الفعل. فإن لم يكن هناك مانع فهو وفق منهج الله تعالى. إن للإنسان عملًا صالحًا يغفر له ذنوبه، فإذا كان عمره كله طيبًا، ولو كان له بعض الذنوب، ولكن شفع له أربعون أو مائة من المسلمين الصالحين، فإنه يغفر له، وذاك يوافق تمامًا بمنهج الله ، ثانيًا: الغرض الحقيقي من

هذا الأمر هو تشجيع الناس فقط على حضور جنازة المسلم.

مطيع سيد: فهمنا ذلك بعد قليل من التفكير أن هذا قد عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، وهو معروف من أحاديث أخرى، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لابد أنه أدرك أن الناس سيأخذون كلامي على محمل الجد بظاهره.

عمار ناصر: لا، إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يحضرون مجالسه كانوا يفهمون الأمور في سياقها الصحيح. في الواقع، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث وفي ذهنه مخاطبوه بشكل مباشر. ولا يتحدث وفي ذهنه أنه قد يحمل الغائب ما يقوله إذا سمعه فيما بعد على غير ماينويه ؟ في الحقيقة أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم موجهة إلى المخاطبين حتى يكثر عدد من يحضرون الجنازة. والنقطة هي أن هذا ليس عزاءً كاذبًا أيضًا. بل هذا أيضًا موافق لمبدأ الله، فإذا كان مجمل أعمال العبد صالحًا كما جاء بلفظ "خَلَطُوْا عَمَلًا صَالِحًا وَّ اٰخَرَ سَيِّئًا" أي خلط بعضه صالحًا وبعضه سيئًا ولم يكن هناك ذنوب كبيرة تمنع المغفرة، فلماذا لا يقبل الله تعالى شفاعة الصالحين بالصلاة عليه؟

مطيع سيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شيع جنازة لم يجلس حتى تنزل في القبر، فذات مرة جاءه حبر من اليهود وقال له: نحن نفعل مثل ذلك. فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جلس وقال: خالفواما يصنعه اليهود٦ هل هذا كان مجرد مشكلة هوية؟ وإلا فإن التصرف وفق تعاليم اليهود بالخير لم يكن أمرًا سيئًا. لماذا يُؤمر بمخالفة كل أمرهم و لو كان صالحًا؟

عمار ناصر: إن روايات الوقوف في الجنازة مختلفة وتخلق صورة مختلفة للواقع. وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم في الجنازة فهو أمر معتاد. وليس المقصود أنه كان هناك عناية خاصة بالبقاء قائمًا، بل على العموم فإنه كان يبقى قائمًا حتى يوضع الميت في القبر، وفي هذا السياق لو قال يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم أننا نفعل مثله أيضا، فمن المعلوم أن مثل هذه الأمور ليست من عادات اليهود وتقاليدهم فقط، بل إنهم كانوا يوجبون ذلك ويجعلونه واجبًا فقهيًا ودينًا. فإذا علم أن اليهود جعلوه حكمًا فقهيًا، وقد نكون مثلهم إذا عملنا به، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحاول معارضتهم. فمثلًا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة صبغ اللحى أو عدم صبغها بأي أمر من حيث المبدأ، ولكن

لما علم أن اليهود لا يصبغون لحاهم وكانوا يمنعونه ، قال: اصبغوا لحاكم وخالفوا اليهود. وكما كان اليهود يقولون: إن الصلاة في المسجد بالنعال لا يجوز قطعًا، بل هي حرام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صلوا بالنعال وخالفوهم.

مطيع سيد: هل كان ذلك كما كان السيد المسيح قد كسر بعض القيود التي فرضها العلماء اليهود؟

عمار ناصر: نعم صحيح هكذا كان.

مطيع سيد: ولد رجل بالمدينة ومات بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: وددت لو مات في بلد آخر. سأل أحدهم لماذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مات العبد في غير مولده وضع له مقعداً من الجنة من مولده إلى موته» أو كما قال.٧ ما الذي يمكن أن يتحول إليه البعد عن الوطن من مكافأة؟

عمار ناصر: في الحقيقة، الأصل هو أن كل ما يتعرض له المؤمن من معاناة أو حرمان في هذه الدنيا، فإنه يعوض عنه. وإذا مات الرجل في بلاد الغربة، كما قال غالب الشاعر الأردي مامعناه: "قُتلت في بلاد الغربة بعيدًا عن وطني"، فإن الله تعالى يعوضه.

مطيع سيد: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن ابنتي قريبًا ما سوف تتزوج وقد سقط شعرها من الجدري، أفأضفر شعرها؟ فنهى عنه صلى الله عليه وسلم وقال: «لعن الله الواصلة و الواشمة ومن لابسهما». ٨ وهنا عذر شرعي وهو زواج الابنة، وهذا الإضفار مؤقت أيضاً، فلماذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا أيضًا؟

عمار ناصر: يبدو أن الشعر الذي كان من المفترض زراعته كان يعني حالة ما جعلته يبدو حقيقيا. ويذهب الفقهاء أيضاً إلى أن خلط الشعر بالشعر بحيث يظهر على أنه حقيقي هو نوع من الخداع. الأرجح أن الهيئة التي كانت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كانت كذلك، أما ما هو موجود مثل الريش الذي عندنا أو غيره مما ينبت الشعر فهو جائز لأنه ليس فيه هذه الهيئة.

مطيع سيد: وماذا لو لم يكن فيه خداع، وإنما أخبرالطرف الآخرمسبقًا أن الأمر سوف يحدث بهذه الطريقة؟

عمار ناصر: هناك وجهان لهذا الأمر: الأول هو وجه الخداع، وهو أمر غير

قانوني بكل بساطة. الوجه الثاني: ألا يكون فيه غش، وحتى لو علم الطرف الآخر به فإنه لا يستحب شرعًا أن تظهر شعرك الصناعي وكأنه حقيقي. على سبيل المثال، في الحديث يتم تفسير عبارة " المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور٩ " بمعنى أن الشخص المترائي كذبا كمن يلبس ثوبين خادعين. فهناك أيضًا تعليق على الشخصية الإنسانية المنعكسة فيه.

مطيع سيد: إنه جاء في بعض الروايات والآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم قد طلق السيدة حفصة رضي الله عنها ثم رجع.١٠ هل هذا الحديث صحيح؟ لأن هناك حديثًا آخر يذكر انفصال النبي محمد وإيلاءه عن زوجاته، فهل كانت تلك حادثة منفصلة؟

عمار ناصر: إنه جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم رجع إليها، ولكن لا تفصيل متى كان ذلك ولماذا كان ذلك. ومن الممكن أن يكون الراوي قد وصف حادثة الإيلاء بهذا الشكل، أو من الممكن أن يكون قد طلق بسبب آخر.

ويذهب المفسرون عادة إلى أنه إذا كانت السيدة حفصة هي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم التي كشفت سره لزوج آخر وجاء ذكره في سورة التحريم، فلعله طلقها في تلك المناسبة، ولكن في هذه الحادثة كانت السيدة عائشة هي الزوجة الأخرى، ولم ينقل عنها شيء من ذلك.

(مترجم من الأردية) (للبحث صلة)

المحادثة: محمد حسن إلياس
قام بترتيبها وتدوينها: شاهد رضا

التصور الديني للّحية

الحلقة الثانية والأخيرة

[إنه قد لخص السيد محمد حسن إلياس برنامجًا في "سلسلة ٢٣ اعتراضا" حول اللحية. والنص الحالي يعتمد على استخلاص من حديثه واستفادة منه.]

مراجعة الاعتراضات على موقف غامدي

ولا يوافق العلماء غامدي على هذا الرأي .وقد اعترض العلماء على رأيه بثلاثة اعتراضات رئيسية، ففي ضوئها لا يعتبرون رأيَ غامدي بهذا الصدد مقبولًا.

الاعتراض الأول الذي يورد عليه العلماء هو أن مقولةَ غامدي بأنه لا يوجد دليل على إعفاء اللحية في القرآن والسنة يخالف الواقع، إذ إن في سورة الروم من الآية ٣٠ إلى الآية ٣٢ دليل يمكن أن يستفاد منه حكم وجوب إعفاء اللحية. فقد قال الله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفًا ۚ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ. (الروم٣٠: ٣٠)

واستشهاداً بهذه الآية يزعم العلماء بأنها تقول: يجب عليكم أن تتبعوا الفطرة التي خلقكم الله عليها ولا تغيروها. ولما كانت اللحية ظاهرة طبيعية في جسم الإنسان، فإذا قص الرجل لحيته كان كمن خالف خلق الله والطبيعة التي خلقه عليها ،ولذلك فإن القرآن الكريم يأمر الإنسان ولو بطريقة غير مباشرة

بإرخاء اللحية، لأن اللحية طبيعة والطبيعة لا يمكن أن تتغير. علاوة على ذلك فإن قص اللحية هو في الواقع تشويه للطبيعة.

وقد رد الغامدي على هذا الاعتراض بقوله: إذا نظرنا إلى سياق الآية (context) يتبين لنا أن الآية لا تتحدث عن أي تغير في الصورة الجسمانية المادية، بل تتحدث عن مفهوم التوحيد. فحديث القرآن هنا عن تغيير خلق الله وسياقه التوحيد والشرك. ففي زمن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعانون من آثام الشرك وسئيات الكفر، ولهذا السبب فإن القرآن الكريم يدين الشرك ويدعو إلى التوحيد. وهذه الآية أيضا تتحدث عن نفس الشيء وتقول إن الشرك لا يتفق مع طبيعة الإنسان، بينما التوحيد جزء من طبيعة الإنسان .ومن هنا يتبين من سياق الآية أن القرآن الكريم يقول ويؤكد للناس أن التوحيد شيء موجود في فطرتكم، وعندما تتركون التوحيد وتعتنقون الشرك فكأنكم تناهضون هذه الإنجازات الطبيعية والهداية الفطرية الكامنة في أنفسكم، ولذلك إذا قرأت هذه الآية في سياقها فإنها تشير إلى الحديث عن التوحيدلاغير. فقال:

فَاَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفًاۗ فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَاۗ لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللّٰهِۗ ذٰلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُۙ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ. مُنِيْبِيْنَ اِلَيْهِ وَاتَّقُوْهُ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَلَا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ. مِنَ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًاۗ كُلُّ حِزْبٍۢ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوْنَ. (الروم٣٠: ٣٠-٣٢)

والواضح من هذه الآية بداهةً أنها تدعو إلى التوحيد وتدين الشرك. فالاستدلال بهذه الآية أن اللحية تنبت على الجسم طبيعيا، فقص اللحية إذن تغيير للطبيعة والقرآن ينهى عنه، فلا يوجد في هذه الآية شيء يتعلق باللحية إطلاقًا.

والاعتراض الثاني أن بعض الأحاديث تدحض ما يقوله غامدي. فإذا قبلنا قوله بأن اللحية غير مأمور بها في الدين، فماذا نفعل بالأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم والتي تنص على خلاف ذلك؟ والعلماء يحتجون عليه بالحديث الذي يقول أن عشرة أشياء من الفطرة ومن هذه الأشياء العشرة إعفاء اللحية. فيقولون: إننا بعد أن وجدنا هذا التوجيه بشأن اللحية في حديث آخر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث بشأن الأشياء المتضمنة في الطبيعة، ينبغي لنا الآن أن ننظر إلى التغيير في الطبيعة المذكور في القرآن الكريم في ضوء هذا الحديث. علاوة على ذلك، فإن التراث الحديثي نفسه يخبرنا أن وجود اللحية هو جزء من الطبيعة، وأن اللحية هي واحدة من الأشياء العشرة المتضمنة في طبيعة الإنسان. وعلى هذا فقد جاء في صحيح مسلم:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ. قَالَ زَكَرِيَّا: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ. زَادَ قُتَيْبَةُ قَالَ وَكِيعٌ: انْتِقَاصُ الْمَاءِ، يَعْنِي الاِسْتِنْجَاءَ. (رقم ٦٢٧)

والآن لننظر هل هذا الحديث يثبت ما يريد العلماء عادة إثباته؟ ولذلك ينبغي أن يعلم أن كبار علماء الحديث أنفسهم أثاروا حول هذا الحديث تساءلات مهمة جداً ولم يقبلوه .وقد تعرض هذا الحديث لانتقادات شديدة من قبل الإمام ابن عبد البر رحمه الله وغيره من العلماء. يقولون أن هذا الحديث لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن راوي هذا الحديث ليس بثقة. وأيضًا فإن الراوي لم يستطع أن يتذكر الشيء العاشر هنا، فلا يعقل أن يتذكر بقية الأشياء التي وصفها. وعلى العكس من ذلك، يقول العلماء إن هناك حديثًا آخر يصف خمسة أشياء من فطرة الإنسان، ولا تدخل اللحى ضمنها .هذا الحديث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروي في كتاب عظيم كالبخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما-[1]والأمام مسلم نفسه أخرج حديثا يؤيده فقد جاءفيه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْفِطْرَةُ خَمْسٌ -أَوْ خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ- الْخِتَانُ وَالاِسْتِحْدَادُ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَقَصُّ الشَّارِبِ. (رقم ٦٢٠)

ولم يرد في هذا الحديث ذكر اللحية .والآن، مقابل هذا حديث لم يثبت نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذا الحد، ورواته غير موثوقين عند

[1]- رواه البخاري، رقم ٥٨٩٠-

كبار العلماء كابن عبد البر، فكيف يصدق أن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بأن إعفاء اللحية أمر من أمورالفطرة وهناك حديث آخر يروى في الكتب الكبيرة وليس فيه ذكر للحية إطلاقًا؟

الاعتراض الثالث: أن في أحاديث اللحية التي قبلها غامدي أو شرحها أو بحث عن سياقها فإن الألفاظ المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الأحاديث مشتملة على فعل الأمر، أي أن الفعل المذكور جاء بمعنى الأمر، لأن الأمر في اللغة أصله الأمر الواجب (compulsary thing).

وهذا يعني أنه كلما ظهر فعل أمر في الجملة، فإنه يبدو أنه يجعل شيئًا ما إلزاميًا أو ضروريًا .ولما جاء فعل الأمر في (واعفوا اللحى) و(قصوا الشوارب) في هذه الأحاديث، فسره العلماء على أنه يجب إعفاء اللحى وقص الشوارب، وكأن هذا أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.An order from him.

ويقول غامدي رداً عليه: إن القول بأن كلمة أمر في الحقيقة تشير إلى الوجوب ليس صحيحاً من أساسه. فإن كلمة (أمر) تأتي للإلزام، وتأتي أيضاً للندب، وتأتي أيضًا للإذن والإباحة، وتأتي أيضاً بمعاني أخرى مختلفة، حيث إن الله تعالى نفسه يستعمل كلمة (أمر) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم في معاني كثيرة. فمثلًا يقول الله تعالى:

كُلُوْا وَاشْرَبُوْا مِنْ رِّزْقِ اللهِ. (البقرہ؟: ٦٠)

لا يستطيع أحد في العالم يقرأ هذه الآية أن يقول إن الله تعالى يوجب الأكل والشرب باستخدام الفعل (وكلوا واشربوا) فيها. الكل يعلم أن الله تعالى هنا لا يأمر المسلمين بالأكل والشرب بالضرورة، بل الجميع يقولون أن الأمر هنا ليس للإلزام، بل للإذن والإباحة(Permission).

لذلك فإن خلفية الجملة أو السياق يحددان دائمًا معنى الفعل الذي يجيئ فيها. والآن ننظر إلى الرواية التي جاءت فيها الكلمات المتعلقة باللحية. فسترى أن الأمور المذكورة فيه هل أوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا؟ وقد روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال:

خَرَجَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلٰى مَشْيَخَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيضٌ لِحَاهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، حَمِّرُوْا وَصَفِّرُوْا، وَخَالِفُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللهِ،

إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرْوَلُوْنَ، وَلَا يَأْتَزِرُوْنَ، فَقَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَسَرْوَلُوْا، وَائْتَزِرُوْا، وَخَالِفُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ الله، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَخَفَّفُوْنَ، وَلَا يَنْتَعِلُوْنَ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَتَخَفَّفُوْا، وَانْتَعِلُوْا، وَخَالِفُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ الله، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَقُصُّوْنَ عَثَانِيْنَهُمْ، وَيُوَفِّرُوْنَ سِبَالَهُمْ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُصُّوْا سِبَالَكُمْ، وَوَفِّرُوْا عَثَانِيْنَكُمْ، وَخَالِفُوْا أَهْلَ الْكِتَابِ. (رواه أحمد في مسنده، رقم :٢٢٢٨٣)

وقد ترجم غامدي وآخرون أيضا(حَمِّرُوا وَصَفِّرُوا) بـ: (يمكن أن تجعلوا لحاكم حمراء أو صفراء)، ولم يترجمها بـ: (اجعلوا لحاكم صفراء أو حمراء بالتاكيد). فإذا كنتم في هذا الحديث تقبلون فعل (أمر) على أنه واجب في اللحية، فإنه لا بد أن تقبلوا صيغة (أمر) على أنه واجب في الأشياء الأربعة الأخرى المذكورة أيضًا، أي يجب علينا أن نقول أيضًا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب أيضًا لبس السراويل، ولبس العمامة، ولبس الجوارب، ولبس النعال. وكما أن الصلاة واجبة في الجوارب والنعال، فقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم خضاب اللحى.

ولذا، فيعلم الكل أن سياق الحديث يدل على أن السائل طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الناس لا يجيزون هذا الفعل، بل يعتقدون أنه لا يجوز شرعًا. ولذلك فإن كلمة (أمر) التي استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا هي للإذن والإباحة، وهذا يعني أنه يجوز لك أن تفعلوا هذاو يمكنكم القيام بذلك إذا كنتم تريدون ذلك، فخالفوا أهل الكتاب في ذلك.

ملخص القول

وخلاصة هذا الحديث أن الأستاذ غامدي لا يعتبر إعفاء اللحية فرضًا من فروض الإسلام، لأنه لم يثبت في الدين شيء من ذلك. ولم يرد ذكره في القرآن الكريم ولا في السنة. وأما الحديث فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكراللحية فيه إرشادًا ولا أمرًا، بل ذكره على وجهين: أحدهما: الاستنكار على من له شوارب طويلة ولحى قصيرة بطريقة متغطرسة (Arrogent behaviour).

والآخر: معارضة البدع (Religious Innovations)

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بالإضافة إلى هذه الأحاديث، فإن السنة التي هي سنة دينية ثابتة قد صدرت فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر منفصل

بقص الشارب أو تقصيره، وهو أمر لم تتطرق إليه هذه الأحاديث. وفي هذا الصدد يمكن دراسة كتاب "ميزان" لغامدي. متوفر اليوم في اللغة العربية أيضًا.
(مترجم من الأردية)

نعيم أحمد بلوش

حياة أمين

(سيرة المولانا أمين أحسن الإصلاحي)

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر قرآن"

من كاتب سيرته نعيم أحمد بلوش]

الحلقة الأولى

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السير والسوانح للشخصيات"، وهي تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها.]

كان لي، برفقة الأخ محمد أحسن التهامي، شرف اللقاء بالانتظام في زيارة منزل المولانا أمين أحسن الإصلاحي في الفترة الممتدة من عام ١٩٨٢م إلى ١٩٨٤م، ثم في عام ١٩٨٥م، حيث كنا ننهل من علمه ونستضيء بفكره النير. لم تكن لقاءاتنا مجرد أحاديث عابرة، بل كانت جلسات علمية وفكرية تنبض بالحكمة، تتخللها أسئلة أكاديمية وتحليلات دقيقة للأوضاع الراهنة. ولأنه كان يعاني من ضعف في السمع، اعتدنا أن نخط أسئلتنا على الورق، فيقرؤها ثم يفيض علينا بإجاباته العميقة، التي تحمل خلاصة فكره وتأملاته.

في تلك الأيام، كان المولانا يقيم في منزل ابنته مريم أنور في منطقة كينت

(معسكر) كنا نقصد بيته صباح الإثنين، وأحيانًا الثلاثاء، بعد الساعة العاشرة، بقلوب تملؤها الترقب وأرواح يحدوها الشغف للقاء هذا العالم الجليل. وكان سماحه لنا بحضور هذه الجلسات شرفًا لا يدانيه شرف، ومنحة كنا نعدها من أعظم ما وهبنا الله. ومع مرور الأيام، أدركنا أن هذه اللقاءات لا تحمل في طياتها دروسًا فكرية وحسب، بل تخبئ بين سطورها صفحات من سيرته العطرة، نوافذ تطل بنا على حياته، وعوالمه، ورؤيته للأحداث.

وذات يوم، تعذّر عليّ الحضور، فانفرد الأخ أحسن تهامي بالمجلس. وخلال حديثه مع المولانا، قال الشيخ عنه : يمكن للأخ بلوش أن يتولى هذا العمل – أي كتابة سيرته– إذا أراد. وحين حمل إليّ أحسن هذه البشرى، غمرتني سعادة لا حد لها، إذ لم يكن ليخطر ببالي أن يُلقي عليّ المولانا بهذا التكليف الكريم، وأن يُعهد إليّ بتوثيق سيرته بيدي المتواضعتين.

واليوم، وقد أتاح لي الزمن فسحة من الوقت، أجدني ممتنًا لهذه الفرصة، ساعيًّا إلى الوفاء بهذا العهد القديم. ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى مركز غامدي للتعلم الإسلامي، الذي أمدني بما يلزمني من موارد وإمكانات لإنجاز هذا العمل.

مصادر السيرة

لم تكن لقاءاتي مع المولانا الإصلاحي هي المصدر الوحيد لهذه السيرة، فقد استعنت أيضًا بمراجع أخرى أضفت بها لمسات من التوثيق والدقة، ومنها:

١. تسجيلات صوتية تم إعدادها خلال حياة المولانا الإصلاحي، وثّقت إجاباته عن أسئلة عديدة، ثم قام السيد عبيد الله عابد، مساعد رئيس تحرير صحيفة يومية ((ديلي إكسبريس)) آنذاك، والمسؤول الحالي عن نوبة عمل في قناة التلفزيونية ((V. News)) بتحويلها إلى نصوص مكتوبة.

٢. حفيده، أبو صهيب الإصلاحي

٣. أستاذنا الغالي، جاويد أحمد غامدي

٤. حسان عارف، نجل تلميذه الرشيد الأستاذ خالد مسعود

٥. أحد طلابه المخلصين، السيد محمد أحسن التهامي

٦. مصادر أخرى سأوردها في مواضعها المناسبة لاحقًا.

الحياة الابتدائية

المولد

وُلد صاحب ((تدبر القرآن))، والتلميذ الرشيد للإمام حميد الدين الفراهي، المولانا أمين أحسن الإصلاحي، عام ١٩٠٤م، في قرية بمهور، الواقعة بالقرب من مديرية أعظم كره في ولاية أوتار براديش الهندية. آنذاك، كانت هذه القرية تبعد نحو أربعة أميال عن مدينة أعظم كره.

كانت أعظم كره منبتًا للعلماء والمفكرين البارزين، فقد أنجبت أسماءً عظيمة مثل الإمام حميد الدين الفراهي (١٨٦٣-١٩٣٠)، والعلامة شبلي النعماني (١٨٥٧-١٩١٤)، والمفكر سبط حسن (١٩١٦-١٩٨٦)، ونجم السينما كيفي أعظمي (١٩٢٥-٢٠٠٢)، والمؤرخ إشتياق أحمد الظلي (وهو -ماشاء الله- على قيد الحياة)، وغيرهم ممن تركوا بصماتهم في مجالات الفكر والأدب.

تاريخ ((أعظم كره))

تأسست مدينة ((أعظم كره)) عام ١٦٦٥م على ضفاف نهر تونس، حينما أنشأها أعظم خان، وهو إقطاعي مسلم حديث العهد بالإسلام. وتذكر الروايات أن أعظم خان كان في الأصل راجبوتيًا هندوسيًا، ذهب في عهد الإمبراطور المغولي جهانكير (١٦٠٥-١٦٢٧) إلى أغرا، التي كانت عاصمة الإمبراطورية آنذاك، وهناك اعتنق الإسلام وحظي برعاية البلاط المغولي، حيث منحه جهانجير لقب "دولت خان"، إلى جانب منحه ولاية ٢٤ بارغانا (وهي وحدة إقطاعية تضم نحو عشر قرى).والراجة دولت خان توفي ولم يكن له ولد يرثه وقد قرر أحدًا يُدعى هربنس ولي عهد لأقطاعه والذي بقي علي ديانته الهندوسية القديمة ولكن قد نبغ في الأسرة نفسها شخص يدعى بكرماجيت واعتنق الإسلام وكان له ولدان احدهما أعظم خان وثانيهما عظمت خان. فولده الأكبر أعظم خان قد أسس بلدة أعظم جراه والثاني قد بنى عظمت كره.١

أما بالنسبة لكلمة "كره"، فمن المعروف أنها كلمة هندية تعني "القلعة". وتُستخدم عادة للإشارة إلى السكان الذين نشأوا من حامية عسكرية. وهكذا، تحولت القلعة التي بناها أعظم خان تدريجيًا إلى شكل مدينة، وأصبحت تُعرف باسم ((أعظم كره)).

التركيبة السكانية لـ ((أعظم كره))

عند ولادة أمين أحسن، كانت أعظم كره مقسمة إلى قسمين رئيسيين : قسم تسكنه غالبية مسلمة، يتألف من المدينة وضواحيها. و قسم آخر تقطنه غالبية هندوسية، معظمهم من طائفة الراجبوت، الذين كانوا يمثلون الشريحة الكبرى من السكان. ورغم اختلاف الأديان، ساد بين المجتمعين تعايش ووحدة متينة، فكانوا يتبادلون الزيارات ويشاركون في المناسبات الاجتماعية، مع احتفاظهم بانتمائهم الراجبوتي. كما ضم المجتمع المسلم مهاجرين من خلفيات متعددة، حملوا ألقاب أنصاري، وشيخ، وخان، وميرزا، ومغول. ٢

أما قرية ((بمهور))، مسقط رأس أمين أحسن، فقد كانت ذات أغلبية مسلمة، ويبدو أنها ضمت أفرادًا مثقفين على دراية جيدة بمتغيرات عصرهم. ومن بين هؤلاء، برز سرفراز خان، أحد رجال القرية، الذي لعب دورًا نشطًا في ثورة ١٨٥٧م ضد الاستعمار البريطاني. وبعد فشل الثورة، شنّ البريطانيون حملات انتقامية ضد المشاركين فيها، وكان منزل سرفراز خان من بين البيوت التي أُحرقت. وقد ظلت ذكرى هذا الحدث محفورة في ذاكرة المولانا أمين أحسن طوال حياته.

الأسرة والنشأة

كان جدّ المولانا الإصلاحي، وزير علي، من عائلة راجبوتية حديثة العهد بالإسلام، وكان رئيس القرية ومالكًا للأرض، يجيد قراءة وكتابة اللغة الهندية، ويُعدّ من وجهاء مجتمعه. أما والده، السيد حافظ محمد مرتضى، فقد كان حافظًا للقرآن الكريم، ونال شرف أداء فريضة الحج. ورغم عدم تلقيه تعليمًا دينيًا رسميًا، إلا أنه كان يجيد اللغتين الفارسية والأردية، ويرتل القرآن بصوت يأسر القلوب، حتى أن أهل القرية لم يكونوا يفضلون سماع القرآن من غيره. ٣ وكان يؤم صلاة التراويح بانتظام، رغم أن المسجد لم يكن له إمام معين.

لقد حرص السيد محمد مرتضى على توجيه أبنائه نحو طلب العلم، مخالفًا بذلك التقاليد العائلية التي كانت تقتصر على ملكية الأراضي. ومن شدة حبه للعلم، أرسل ابنه أمين أحسن بعد وفاة أستاذه الإمام حميد الدين الفراهي ١٩٣٠م إلى مولانا عبد الرحمن المحدث مبارك بوري لتلقي علم الحديث.

وقد روى المولانا الإصلاحي موقفًا له مع والده، عندما جاء الأخير لزيارة الإمام الفراهي أثناء دراسته في مدرسة الإصلاح، دون علمه. وحين بلغه ذلك، استبد به القلق، إذ لم يكن يعرف الانطباع الذي تركه والده عند الشيخ الفراهي. لكنه ما إن التقى بأستاذه، حتى فاجأه بقوله : يا أمين، والدك كان مولويًا كاملاً![1]

كانت هذه الكلمات من أعظم ما سمعه في حياته، ففي ذلك الوقت، كان لقب مولوي يُطلق على الشخص المتعلم والمثقف، وقد اعتبر المولانا هذا الإطراء من أستاذه إحدى أفراح حياته التي لا تُنسى.

تحول العائلة إلى الإسلام

نظرًا لأن عائلة المولانا الإصلاحي كانت في الأصل راجبوتية، فقد تناقلوا قصة تحولهم إلى الإسلام جيلًا بعد جيل. وكان الشيخ أمين أحسن يروي أن جده الأكبر، سوراج سينغ،[٤] عاد ذات مساء من الحقول، وكان يشعر بجوع شديد. فتوجه مباشرة إلى المطبخ، وهو مكان مرتفع يتم تطهيره بالطين يوميًا حسب التقاليد الراجبوتية الهندوسية، حيث لا يُسمح بالدخول إليه بالأحذية. لكنه، دون اكتراث، دخل إلى المطبخ بحذائه، فصاحت زوجته ساخرة: يبدو أنك أصبحت باهرًا (أي غير متدين) تمامًا!، في إشارة إلى أنه بدأ يتصرف كالمسلمين. أثار هذا التعليق غضب سوراج سينغ، فقال لها : هل تعتقدين أنني تخليت عن دينك؟ حسنًا، سأثبت لك ذلك!. ومن فوره، توجه إلى زاوية أحد الأولياء الصوفيين في القرية وأعلن إسلامه. وقد أضاف المولانا الإصلاحي أن سوراج سينغ كان الجدّ المشترك له وللعالم الشهير المولوي شبلي المتكلم، الذي كان المولانا يناديه بعمه من باب القربى.

الإخوة والأخوات

كان المولانا أمين أحسن الابن الأكبر في أسرته، وله شقيقان هما، سلطان

---

[٣]- بيان المولانا أمين أحسن الإصلاحي (مبني على حديثه الذي تم تسجيله)-

٤- وسنيغ هذه مأخوذة من سمها معناها (Lion) الأسد في اللغة السنسكرتية وكانت الأسرالراجبوتية تلقب أبناءها بها. ثم اختارتها طائفة سيخ أيضًا لقبًا لها.

أحسن ومشير أحسن، بالإضافة إلى ثلاث أخوات.

البيئة المنزلية

في ظل عادات ذلك العصر، نشأ أمين أحسن في كنف نظام الأسرة المشتركة، ذلك التقليد المتوارث الذي ظل راسخًا في المجتمعات، رغم ما يحمله من تناقضات. وقد تحدث المولانا الإصلاحي عن هذا النظام قائلاً:

"إن تقليد الأسرة المشتركة الذي ورثناه، هو في حقيقته إرث هندوسي. لا شك أن الإسلام لم يُقرّه، فهو تقليد إقليمي بحت. وككل أمر في الحياة، يحمل في طياته مزايا ومثالب؛ فمن بركاته أن الفرد لا يُعرف بصفته المستقلة، بل يُنظر إليه كجزء لا يتجزأ من كيان العائلة، فتحميه من الزلل وتستر عيوبه. غير أن عيبه يكمن في طغيان سلطة رب الأسرة، حيث يغدو سيدًا مطلقًا، فيما يتحول البقية إلى أتباع صامتين. الرجال يعيشون كما يشاؤون، أما النساء فإما أن يغرقن في دوامة المشاحنات اليومية، أو يسلمن أنفسهن إلى صمت عميق يشبه الأسر. في بيتنا، اجتمع الكل تحت سقف واحد : أبي وأمي، أعمامي وأبناء عمومتي، يشكلون نسيجًا واحدًا من حياة مترابطة."

ورغم أن والدته كانت القلب النابض بالعاطفة، إلا أن أمين أحسن وجد في جدته ميّاجي كل ما يمكن أن ينشده طفل في حضن دافئ. كانت بالنسبة له الملاذ والأنس، أما والدته فكان يحفظ لها المهابة ويخشاها، بينما ظل والده في عينيه رمزًا للهيبة، يحتفظ منه بمسافة يحفها الاحترام الممزوج بالرهبة.

لطالما ضاقت والدته بتدليل جدته له، وتذمرت قائلة إن هذا الطفل سيُفسد من فرط المحبة التي يغدقها عليه الجميع. لكن ميّاجي لم تكن تأبه لهذه التحذيرات، بل كانت تزيده قربًا كلما زاد انتقاد والدته. وعندما كان والده يفرض عليه الانضباط في الدراسة، كان عمه يتدخل مدافعًا عنه قائلاً : الأطفال يظلون أطفالًا، وليسوا كبارًا جادين طوال الوقت!

ومن بين الذكريات التي بقيت محفورة في قلبه، ذكرى ذلك اليوم الذي ذهب فيه مع نساء العائلة لزيارة أقاربهم على بعد ميلين. وحين عاد جده إلى المنزل ولم يجده، هبّ يبحث عنه بعربة يجرها ثور، غير آبه ببعد المسافة. وعندما وصل، قيل له إن أمين أحسن قد نام، لكنه لم يتردد، بل حمل حفيده النائم بين ذراعيه

وعاد به إلى المنزل، وكأنما يحمله على جناحي الحنان. أما في الصباح، فقد كان يصرّ على تقديم الشاي له بكل حب، رغم مرارة طعمه التي كان أمين أحسن يبتلعها فقط إكرامًا لجده.

دراسته الابتدائية

في سن العاشرة، وطأت قدما أمين أحسن عتبة المدرسة القروية، حيث لم يكن فيها سوى معلم واحد، هو المولوي بشير أحمد، الذي لقّنه مبادئ الحساب، إلى جانب اللغة الفارسية والأردية. وعلى يديه، تعرّف على كتاب ((كريما)) للسعدي، ووقع في حب أبياته التي كان يحفظها بسرعة وينشدها بصوت يملؤه الحماس. لكنه في المقابل، وجد في مسائل الرياضيات عقبة صعبة، فكان يشعر برهبة من الأرقام ومعادلات الضرب والقسمة.

لم يكن يجد في معلمه بشير أحمد صلة روحية، لكنه وجد في المولوي فصيح الدين، الذي درّسه العلوم الدينية، معلمًا يستحق الاحترام العميق، فكانت مدرسته الدينية عالمًا آخر مختلفًا عن المدرسة الحكومية.

استمر دراسته في المدرسة الحكومية ثلاث سنوات، إلى أن جاء اليوم الذي قلب الموازين. ففي إحدى زيارات التفتيش المفاجئة، وقف مسؤول حكومي في فناء المدرسة يتفحصها بعين ناقدة، وحين رأى قلة الطلاب، أعلن بكل بساطة أن المدرسة ستُغلق منذ اليوم.

ما كاد الأطفال يسمعون هذا الإعلان حتى انطلقت هتافاتهم بالفرح، وكأنهم تحرروا من سجن غير مرئي. كان أمين أحسن من بينهم، يركض بحماسة ليحمل إلى جدته مياجي ما اعتبره بشرى سارّة. نظرت إليه الجدة بدهشة ممزوجة بالابتسام، وكأنها لم تكن تتوقع إلى أي درجة كان هذا الصغير يضيق ذرعًا بالمدرسة.

وهكذا، طُويت صفحة التعليم الرسمي في حياته، لكنه واصل دروسه الدينية على يد المولوي فصيح الدين، حيث وجد في العلم نورًا يتجاوز حدود المدارس والصفوف.

ألعاب الطفولة

في رحاب القرية، كانت العصي الخشبية ولعبة الكابادي من أكثر الرياضات

شيوعًا، غير أن طبيعة أمين أحسن لم تألفهما، فلم يكن يجد فيهما متعته الحقيقية. على العكس من ذلك، وجد شغفه في عالمين مختلفين تمامًا: ركوب الخيل والسباحة. وببلوغه العاشرة، كان قد برع فيهما معًا، فكان يمتطي صهوة جواده بمهارة، يعدو به بسرعة متزنة، بينما يغوص في مياه البركة القروية والنهر المجاور دون إذن أهله، مستسلمًا لهوسه بالسباحة.

لكن شغفه الذي تخطى الحدود أيقظ قلق كبار العائلة، فأخذوا يراقبونه خشية أن يسلبه الماء حياته. ولم تكن مخاوفهم في غير محلها، فقد كاد يغرق ذات يوم بسبب تهوره، مما جعل أهله يشددون عليه الرقابة، ولم يلبث أن خفتت جذوة شغفه شيئًا فشيئًا، حتى لم يعد يجد في الماء ذلك النداء الطاغي كما كان من قبل.

مخاوف الطفولة

على الرغم من أن كثيرًا من الأطفال في قريته كانوا يخشون الأشباح ويروون عنها الحكايات المخيفة، إلا أن أمين أحسن لم يكن يبالي بها، لكنه في المقابل كان يرتعب من المجانين. كان يظن أنه نجا ذات يوم من رجل مجنون بفضل تدخل أسرته، وهو اعتقاد لازمه طويلًا.

وما زاد خوفه من هذه الفئة حادثة شهدها في بيت جدته لأمه. كان هناك طفل من القرية دخل في شجار مع أهله، فما كان منه إلا أن غادر المنزل غاضبًا، واتجه إلى منطقة مهجورة، حيث جلس تحت شجرة وحيدًا. وعندما رآه أمين أحسن، سرت في جسده قشعريرة من الرعب، إذ تخيّله مجنونًا قد ينقض عليه في أي لحظة. ظل هذا المشهد يطارده، وظل خوفه من المجانين يرافقه لوقت طويل.

نكات الطفولة المؤذية

في سن العاشرة أو الثانية عشرة، ارتكب أمين أحسن مقلبًا كاد أن يكلفه الكثير، ولم ينس تداعياته حتى في شيخوخته. كان هناك عش دبابير على إطار الباب الداخلي لغرفة الضيوف في منزله، وبينما كان واقفًا هناك مع عمه، اشتعلت في داخله رغبة الطفولة في المغامرة، فقال لعمه متحمسًا: دعني أريك عرضًا ممتعًا!

لم يمنحه عمه وقتًا لفهم ما يجري، فقد رفع عصاه وقذفها نحو العش بكل

قوته. وفي لحظة، انقلب المشهد إلى فوضى عارمة، إذ انطلقت الدبابير غاضبة، تهاجم الاثنين بلا رحمة. ولكن لأن أمين كان الأقرب، ناله النصيب الأكبر من اللسعات، حتى انتفخ وجهه وشحب لونه، وأصيب بحمى جعلته طريح الفراش لقرابة عشرين يومًا، بينما لم يسلم عمه من الأذى، وإن كان أقل ضررًا.

أما ثاني مقالب الطفولة، فكان أقل خطورة لكنه لا يقل طرافة. فقد كوّن أمين أحسن ثنائيًا مشاغبًا مع صديقه إلياس، وقررا ذات يوم إعداد حلوى البودنج بأنفسهما، متسلحين بمكر الطفولة. بدأ الأمر بسرقة كميات صغيرة من الأرز والسكر من بيوت أهلهما، ثم توجها إلى خزّاف القرية طالبين منه إناءً للطهي.

كان الرجل يعرف عائلتيهما جيدًا، ويعلم مكانتهما الرفيعة، فلم يستطع رفض طلبهما رغم احتجاج زوجته، التي هددتهما بأنها ستخبر أهلهما. لكنهما لم يباليا، ومضيا في مغامرتهما إلى الكثبان الرملية خارج القرية، حيث انتظرا مرور الراعي مع قطيعه ليطلبا منه الحليب. وكما فعل الخزّاف، لم يستطع الراعي الرفض، فقد كان هو وغيره من أبناء الطبقات الدنيا أشبه بالخدم لدى الملاك الإقطاعيين، ينفذون أوامرهم دون اعتراض.

وهكذا، بعد أن تجمعت المكونات، أعدّا الحلوى بطريقتهما البدائية، مستخدمين أوراق البيبال بدلًا من الصحون، وتلذذا بمذاقها الفريد. كانا يناديان أي عابر سبيل ليشاركهما المتعة، وكان أمين أحسن يؤكد دائمًا أنه لم يذق طيلة حياته طعمًا يشبه ذلك الطعم، وكأن مذاق الطفولة كان يمتزج مع الحلاوة، فيترك في القلب أثرًا لا يُمحى.

في سرده لهذه الحادثة، لم يكتفِ المولانا أمين أحسن الإصلاحي بوصفها، بل قدّم رؤية نقدية عميقة للمجتمع في ذلك الزمن. يقول : "ينبغي أن ندرك أن طبقة الخدم في منطقتنا لم تكن سوى امتدادٍ لبقايا العبودية القديمة. فقد كان الغسّالون، والخياطون، والحلاقون، وعمال النظافة، والنجارون، والحدادون، والأجراء، والخزافون جميعهم أسرى نظامٍ جائر، يعملون كخدمٍ أقرب إلى العبيد في خدمة الأسياد الإقطاعيين وملاك الأرض. كانت هذه المهن متوارثة، لا يملك أصحابها حقّ الفكاك منها. أدركت ذلك حين وعيت أن العبودية، التي نظن أننا

ودّعناها، لا تزال قائمة بيننا بوجهٍ آخر. كانت أجور هؤلاء المساكين زهيدة، بالكاد تكفيهم قوت يومهم، إذ كان الأسياد يمنحونهم حفنة من البيسات أو شيئًا من الجاكيري (السكر) كتعويضٍ لا يسدّ الرمق. لقد عاشوا كعبيدٍ، لا صوت لهم ولا حق، في حياةٍ تشبه الأسر الأبدي."

الضرب في الطفولة

يفتخر أمين أحسن بأنه لم يتعرض للضرب قط، على عكس إخوته وأخواته الذين كانوا ينالون نصيبهم من غضب والدتهم. كانت أمهم صارمة، وعندما تثور، يرتجف الجميع، لكنه وحده نجا من عقابها، باستثناء مرة وحيدة.

كان ذلك يومًا رفض فيه بشدة الذهاب إلى المدرسة، وأصر على موقفه بعناد أغضب عمه شفيق، الذي لم يتمالك نفسه وصفعه على وجهه قائلاً : أيها الأحمق، ألا تدرك ما تفعل؟!. لكن حتى بعد الصفعة، ظل أمين أحسن على موقفه، ورفض الذهاب. وللمفارقة، لم يكن العم نفسه راضيًا عن ما فعل، بل ندم عليه أشد الندم، وتمنى لو أنه لم يمدّ يده عليه. وكان هذا الندم يزداد كلما رأى أمين أحسن وقد أصبح عالمًا جليلًا، حتى بات يقول في شيخوخته: ليتني لم أصفعه أبدًا!

أما في كُتّاب القرية، أو في مدرسة الإصلاح لاحقًا، فقد كانت القاعدة أن المعلمين يعاقبون الطلاب بالضرب، لكن أمين أحسن ظل استثناءً، حتى من أشد أساتذته صرامة. ربما كان هناك شيء في شخصيته يجعله يحظى بمهابة تمنع الآخرين من توبيخه، أو ربما كان في نظراته ما يكفي ليقول إنه لا يحتاج للعقاب كي يتعلم.

(يتبع)

صاغها بالعربية : أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

دكتور محمد عطريف شهباز الندوي*

العلامة الطاهر بن عاشور: حياته وخدماته العلمية

(1879-1973)

كان العلامة محمد الطاهر بن عاشور عالمًا تونسيًا بارزًا في الفكر التجديدي والإصلاحي خلال القرن العشرين، وهو شخصية معروفة في العالم العربي، حيث تُتداول كتاباته على نطاق واسع. إلا أن ترجمات كتبه ومؤلفاته وصلت متأخرة جدًا إلى شبه القارة الهندية، مما أدى إلى بقائه مجهولًا تقريبًا لدى العلماء هناك. ومن هذا المنطلق، أعترف، رغم قصور اطلاعي وقلة معرفتي، بأنني لم أجد بعدُ ما يُعرّف به وبأفكاره في اللغة الأردية.

كان ابن عاشور مفسرًا للقرآن، وعالمًا في الحديث، وشارحًا للبخاري، وفقيهًا أصوليًا. ويحظى تفسيره "التحرير والتنوير" بشعبية كبيرة بين العلماء العرب في العصر الحديث. كما يُعرف على نطاق واسع بأنه أحد أبرز المفسرين والشارحين لفكر مؤسس علم مقاصد الشريعة ومنظّره الأول، الإمام الشاطبي الغرناطي (ت. ١٣٨٨ م). وفي العصر الحديث، يعود الفضل في نشر فكره وإسهاماته العلمية إلى المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن بواشنطن العاصمة الأميركية ويعرف بالإنجليزية بأسمه المخفف

(IIIT)، الذي تبنى فكرة إسلامية المعرفة، حيث قام بنشر ترجمات العديد من كتب ابن عاشور إلى الإنجليزية، وساهم في التعريف بشخصيته العلمية.

نبذة عن حياة العلامة الطاهر بن عاشور :

وُلِد محمد الطاهر بن عاشور في تونس سنة ١٨٧٩ م في أسرة ثرية من أصول

*باحث مشارك في المركز لتعزيز التعليم والثقافة لمسلمي الهند جامعة عليكرة الإسلامية عليكرة.

أندلسية، عُرفت بالعلم والفكر لقرون. ورغم أن والده لم يكن من كبار العلماء، إلا أن جده، الذي يحمل الاسم نفسه، محمد الطاهر بن عاشور (١٨١٥-١٨٦٨م)، كان من أبرز علماء تونس في عصره. كما كان جده لأمه الشيخ عزيز بو عاشور (١٨٢٥-١٩٠٧ م) من كبار العلماء، وكان مقربًا من الزعيم السياسي والمصلح التونسي خير الدين باشا (١٨٢٢-١٨٨٩ م).

نشأ ابن عاشور في بيئة تغمرها الأصوات الإصلاحية، وبعد تعليمه الابتدائي في المنزل، التحق بـجامع الزيتونة سنة ١٨٩٨م. ورغم أن الدراسات الإسلامية في الزيتونة آنذاك كانت تُدرَّس بالطريقة التقليدية كما كان الحال في الأزهر الشريف أيضا، إلا أن أساتذته مع كونهم من أصحاب التراث القديم كانوا متأثرين بحركة الإصلاح والتجديد. وقد تأثر ابن عاشور تأثرًا كبيرًا بأفكار الإمام محمد عبده، الذي كان من أعظم المتحدثين باسم هذه الحركة ولسانها الحركي في ذلك الوقت،وسبق أن قد زار تونس وقد ترك أثرًا كبيرًا ملموسًا في أوساط العلماء والفقهاء هناك بأحاديثه المتوسعة وخطبه البليغة.

أبرز أساتذته في الزيتونة

الشيخ عمر الشيخ (١٨٢٦-١٩١١م)

الشيخ سليم بوحاجب (١٨٢٨-١٩٢٤م)

اجتهد ابن عاشور في طلب العلم حتى حصل على الإجازة العلمية، ثم بدأ التدريس في الزيتونة، وترقى سريعًا ليصبح مفتيًا ثم شيخًا لجامع الزيتونة. كما تولى عدة مناصب علمية وقضائية، منها:

١٩٢٧م: عضو في مكتب قاضي القضاة

١٩٣٢م: تعيينه شيخ الإسلام، وهو أعلى منصب علمي في تونس آنذاك

وكان من أشهرأقرانه وزملاء درسه الشيخ السلفي محمد الحضرالحسين الذي ذهب إلى مصروتخرج في الأزهروصارشيخ الأزهرفيما بعد.

حياته الشخصية

لا توجد معلومات كثيرة عن حياته الشخصية، إلا أنه من المعلوم أنه كان له ولدان وكلاهما كانا من أصحاب العلم والفضل وكان اسم أحد الأبناء محمد فاضل بن عاشور والابن الآخر هو محمد العزيز بن عاشور.

وقد ترك مكتبة غنية ثرية تعج بالكتب والمراجع ومتاحة لجميع الباحثين وحفيده محمد العزيزبن عاشورهو أمينها والقائم بها.

إنتاجه العلمي ومؤلفاته

على الرغم من مناصبه الإدارية ومسؤولياته في إلقاء المحاضرات والتدريس، كان ابن عاشور غزير الإنتاج،و كثيرا ما كان يكتب ابن عاشور مقالات تنشر في الصحف والمجلات في سوريا ومصر وتونس مثل مجلة السعادة العظمى والمجلة الزيتونة والمنار وهدي الإسلام ومصباح الشرق ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وبالإضافة إلى المقالات والبحوث، كتب أيضًا في مواضيع مختلفة فكتب حوالي أربعين كتابا. وقد تم له نشر الكتب التالية والتي تنشر في العالم العربي وتتداول اليوم،

ومن أبرزها:

١. تفسير التحرير والتنوير (١٥ مجلدًا)

٢. كشف المغطّى شرح الموطأ

٣. النظر الفصيح على الجامع الصحيح (شرح صحيح البخاري)

٤. أليس الصبح بقريب؟ (دراسة في التربية الإسلامية)

٥. أصول نظام السياسة في الإسلام

٦. شرح تنقيح الأصول للفقيه المالكي شهاب الدين القرافي

٧. مقاصد الشريعة الإسلامية (وقد تُرجم إلى الإنجليزية من قبل المعهد العالمي للفكر الإسلامي)

الوقف وأثره في الإسلام

٨. موجز البلاغة

٩. شرح ديوان بشار بن برد

١٠. شرح ديوان النابغة

١١. شرح معلقة امرئ القيس

١٢. أنظار وتحقيقات في الكتاب والسنة

كما كتب ردًا دحضًا للكتاب المثير للجدل "الإسلام وأصول الحكم" الذي كتبه الشيخ علي عبد الرزاق من مصر وهو أحد من علماء الأزهر المتنورين. فقد

أدلي الشيخ علي عبد الرزاق برأيه في هذا الكتاب أنه لا يوجد نظام سياسي في الإسلام.

وقد أصدر الشيخ علي عبد الرزاق كتابه هذا في عام ١٩٢٥ ،والذي يدعو إلى فصل الدين عن السياسة والذي أثار ضجة بسبب آرائه في موقف الإسلام من "الخلافة"؛ فرد عليه الأزهر بكتاب "نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم" ومما يُقضى له العجب أن قد عقد له الأزهر المحكمة التأديبية على كتابه هذا فخرج من زمرة العلماء بمقتضى قرارالمحكمة وبالأسف. كان هناك الكثير من النقاش والجدل حول هذا الكتاب ورد عليه العديد من علماء الأزهروالكتاب الإسلاميون أيضًا ولكن لم تكن حتي الآن دراسات محايدة حول الموضوع والذي في رأيي أنا يحتاج إلى بحث جاد محايد من غيرتعصب مذهبي ولا انتمائي.

تأثيره في الفكر المقاصدي

في عام ١٩٠٣م، زار ابن عاشور مصر والتقى بالإمام محمد عبده، الذي كان في طليعة قادة النهضة الإسلامية الحديثة. وقد تأثر ابن عاشور به، وعند عودته إلى تونس، أصبح من روّاد حركة الإصلاح الإسلامي والفكر المقاصدي.

هذا وقد تم نشر كتاب الإمام أبي إسحاق الشاطبي الغرناطي (المتوفى ٧٩٠/٨٣٨٨) القيم "الموافقات" لأول مرة في عام ١٨٨٣ من تونس بلد ابن عاشور. وكان لهذا الكتاب تأثير عميق على ابن عاشور فاستوحى منه أن يكتب كتابه الرائع مقاصد الشريعة الإسلامية.و من خلال هذا الكتاب بدأ خطاب جديد في الدراسات الإسلامية وتم تطوير تخصص جديد باسم مقاصد الشريعة الإسلامية، والذي تطور اليوم وأصبح فرعا لا غنى عنه في الفقه الإسلامي المعاصر. ويرجع الفضل الكبير في ذلك كمامرمن قبل إلى المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن. الذي قام بنشر كتب وأبحاث بهذا الموضوع لعلماء وباحثين آخرين غير الشاطبي وابن عاشور وترجمتها بلغات مختلفة وخاصة الإنجليزية والأردية وأضاءت الآفاق الجديدة للمعرفة والعلم والتحقيق أمام العلماء والفقهاء.

واليوم، تواصل المجامع الفقهية والهيئات العلمية دراسة هذا المجال، ونشر الأبحاث حوله. وقد كان للمعهد العالمي للفكر الإسلامي دور بارز في تطوير هذا العلم من خلال نشر ترجمات ودراسات جديدة بلغات متعددة، خاصة الإنجليزية

والأردية.

وفاته و إرثه العلمي

ظل ابن عاشور حتى آخر حياته عاشقًا للعلم، قضى عمره في البحث والتأليف. وتوفي في ٢١ أغسطس ١٩٧٣م عن عمر ٩٤ عامًا، مخلفًا إرثًا علميًا فريدًا في تونس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. ولا تزال العديد من مخطوطاته تنتظر الطباعة والنشر، ليظل اسمه خالدًا في سجل العلماء والمصلحين الكبار.

شاهد محمود

نشرة الأخبار "المورد أمريكة"

(مارس ٢٠٢٥م)

مبادئ وأصول التكفير

في الشهر الماضي قد ناقش محمد طلحة العلوي موضوع "أصول التكفير" في الندوة الإلكترونية المستمرة بعنوان"صوت البحث" والتي ينظمها مركز غامدي للتعلم الإسلامي. وأهم النقاط التي تمت مناقشتها في هذه الندوة هي:

اختلاف آراء العلماء الفقهية في مسألة التكفير"، و"مفهوم التكفير عند جاويد أحمد غامدي"، و"حق الدولة في التكفير"، و"حق الله والرسول في التكفير"، و"آثار التكفير الدينية والاجتماعية"، و"مسألة التكفير والجماعة الأحمدية". ويمكن للأشخاص المهتمين حضور هذه الندوات مباشرة وطرح أسئلتهم.

الأستاذ غامدي: من منظور تلميذ له

هذا هو عنوان بودكاست الأخ حسن إلياس الذي سجله مع شمس الدين حسن شجري. وتحدث حسن إلياس في هذه البودكاست عن بداية حياته الطلابية وروى رحلته الأكاديمية والفكرية مع غامدي، وفي حديثه عن الحياة الخاصة لغامدي وصف الجوانب الفريدة في شخصيته

كما قد أخبرنا عن الصفات التي يتمتع بها كأب ومعلم. علاوة على ذلك، فقد عبر أيضًا عن أفكاره فيما يتعلق بنشأة فكر الفراهي وأفكاره والمكانة العلمية

والفكرية لغامدي. ويمكن مشاهدة تسجيل لهذه البودكاست على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

الحديث والسنة والتصوف

في الشهر الماضي، قد أجرى السيد غامدي مقابلة مطولة مع السيد شمس الدين حسن شجري. وكانت المقابلة بعنوان "الحديث والسنة والتصوف" حيث تم مناقشة الأسئلة المهمة المتعلقة بتعريف الحديث والسنة وحجية الحديث وإنكار الحديث والتصوف ووحدة الأديان. وتسجيل لهذه المقابلة متاح على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

الإسلام والدولة

وقد تم الآن تدشين الموضوع التالي بعنوان "الإسلام والدولة" ضمن سلسلة فيديوهات ٢٣ اعتراضاً التي ينظمها مركز غامدي. وفي اللقاءات التي عقدت حول هذا الموضوع الشهر الماضي، قد أوضح غامدي وجهة نظره فيما يتعلق بالإسلام والدولة. علاوة على ذلك، قد تمت أيضًا مناقشة الأوامر الدينية المتعلقة بالفرد والمجتمع والسياسة والدولة. و يمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

موقف الأستاذغامدي من "رؤية الباري تعالى"

وصف السيد منظورالحسن في مقالته هذه موقف غامدي من الرؤية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم بمناسبة المعراج. وبعد بيان آراء ومذاهب العلماء المختلفتين، تم استعراض وتحديد صحتها وبيان سقمها في ضوء القرآن والحديث. ثم تطرق إلى بيان موقف غامدي ، فقال إنه صلى الله عليه وسلم قد رأى الله سبحانه في رؤياه كماجاء في أحاديث المعراج، إذ ورد فيها بكل وضوح ذلك وحيث قد نص على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى في عالم الرؤية، فلا يجوز التصريح بمخالفته لنصوص القرآن الكريم التي ترفض إمكانية الرؤية البصرية لله تعالى. ويمكن قراءة هذا المقال في عدد فبراير ٢٠٢٥ من مجلة "إشراق أمريكا" الشهرية.

سلسلة السؤال والجواب مع الأخ محمد حسن إلياس

بدأ مدير الأبحاث والاتصال بمركز غامدي حسن إلياس برنامجًا بعنوان

"اسأل حسن إلياس" مع قناة اليوتيوب الشهيرة "المسلم اليوم". وهو برنامج سؤال وجواب، يجيب فيه حسن إلياس على الأسئلة العلمية والفكرية والدينية التي يطرحها الجمهور.وفي الشهر الماضي، تمت في هذا البرنامج مناقشة الأسئلة المتعلقة ببيع فدك، ومسألة القدر، والسنة، وإنكار الحديث، واستعادة الخلافة، وقضية إتمام الحجة وحديث عماربن ياسر. يتوفر تسجيل لهذا البرنامج على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

سلسلة "تفهيم الآثار"

تحت عنوان سلسلة "تفهيم الآثار" التي ينظمها مركز غامدي يتم وصف وشرح تفهيم الأحاديث والآثار. في فبراير ٢٠٢٥، النقاط المهمة التي تمت مناقشتها في سلسلة "تفهيم الآثار" هي:

جعل القرآن الكريم أساس النزاع والخلاف"، "خطورة تفسير القرآن الكريم بغير علم"، "آيات القرآن الكريم المحكمة والمتشابهة"، "البحث عن معرفة القرآن الكريم"، "موضوعات القرآن الكريم وظاهر القرآن الكريم وباطنه". ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

زاوية التربية الإليكترونية لمركزغامدي

وتستمر زاوية التربية الروحية الإلكترونية والتي ينظمها مركز غامدي. ويعقد الشيخ معز أمجد كل أسبوع جلسة حول جانب تزكية النفس وترقية الذات، يتم فيها مناقشة مواضيع مختلفة تتعلق تزكية النفس وتدريب الأشخاص والإجابة على الأسئلة التي يطرحها الناس.

وفي الجلسات التي عقدت الشهر الماضي في هذه السلسلة، تمت مناقشة نقاط مهمة مثل "علامات الحياء الدقيقة"، و"الحس الجمالي الإنساني"، و"ثمرة الجهد البشري"، و"كيف تساعد الصلاة في الصعوبات". ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات الديرية عبر الإنترنت على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

إسئل غامدي

هذه جلسة أسئلة وأجوبة عبر الإنترنت. والغرض منها هو أن يتمكن الناس من الحصول على إجابات لمختلف الأسئلة المتعلقة بالقضايا الدينية

والأخلاقية التي تنشأ في أذهانهم مباشرة من غامدي. وكان عدد كبير من الناس يشاركون في هذا الاجتماع كل شهر. في فبراير ٢٠٢٥، بعض الأسئلة المهمة التي طرحها الأشخاص في هذه الجلسة هي:

هل من يعاقب بالقتل في الدنيا يعاقب عليه في الآخرةأيضا؟"، و"أي السراري المشار إليها في الآية ٦ من سورة المؤمنين؟"، و"ما هو المعيار في تحديد زكاة الإنتاج بنسبة ٥٪ و١٠٪؟"(أي العشرونصف العشر) .وتسجيلات هذه الجلسات متاحة على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

تدريس "البيان" في اللغة الانجليزية

يقوم الأستاذ شهزاد سليم بواجب تعليم تفسير"البيان" لغامدي باللغة الإنجليزية حتى يتمكن الأشخاص الذين يعرفون اللغة الإنجليزية من الاستفادة منه أيضًا. وفي فبراير ٢٠٢٥، قام بتدريس الآيات من ١٠٤ إلى ١٥٢ من سورة النساء باللغة الإنجليزية. تسجيلات هذه الجلسات متاحة على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

تقسيم الهند والمولانا الإصلاحي

الأستاذ نعيم أحمد بلوش يحرر كتابًا في سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي تحت عنوان "حياة أمين"، والتي تنشر بشكل متواصل في "إشراق أمريكا" بطبعتيها الأردية والعربية. وفي الحلقة التي نشرت الشهر الماضي، وصف الكاتب موقف المولانا الإصلاحي فيما يتعلق بتقسيم الهند. فقد كتب أنه وفقًا للمولانا الإصلاحي، فإن الجدل بين المسلمين والهندوس كان عقيمًا وأن المطالبة بإنشاء دولة باكستان لم تكن حلاً للمشكلة. ومع ذلك، عندما تم إنشاء باكستان، دعم الجزء المركزي من الجماعة الإسلامية وشكل رأيًا مفاده أن باكستان يجب أن تكون محور جهود الجماعة الإسلامية في الحالات المتغيرة. يمكن الاطلاع على هذا المقال في عدد فبراير ٢٠٢٥ من مجلة "إشراق أمريكا" الشهرية.

جلسات الأسئلة والأجوبة الأسبوعية لغامدي

يتم تنظيم جلسة أسئلة وأجوبة حية ينظمها مركز غامدي كل أسبوع، يقدم فيها الأخ حسن إلياس مختلف الأسئلة التي تلقاها مركز غامدي إلى حضرة

غامدي وتجيب عليها فضيلته. ومن بين الأسئلة المهمة التي قد تمت مناقشتها في هذه الاجتماعات التي عقدت في فبراير ٢٠٢٥ هي:

"لماذا لا يدين الأستاذ غامدي أمريكا؟"، "أرض فدك و قرار سيدنا أبو بكر رضي الله عنه"، "ما معنى الدين صامت في مسئلة كذا وكذا؟"، "هل الفكر الفراهي يقف ضمن التراث الديني؟"، "هل المثلية الجنسية فساد للأرض؟"، و"هل يمكن تحقيق التقليد الحضاري دون قوة؟"

وعلاوة على ذلك فقد وضح الفرق بين تاريخ الإسلام وتاريخ المسلمين أيضاو يمكن مشاهدة تسجيلات جلسات الأسئلة والأجوبة هذه على قناة المعهد على اليوتيوب.

حلقة دراسة الإسلام

يعقد الدكتور شهزاد سليم جلسة واحدة كل شهر تحت عنوان "حلقة دراسة الإسلام". ويناقش فيه مختلف القضايا الدينية والأخلاقية والاجتماعية في ضوء القرآن والحديث. تتكون هذه الجلسة من ثلاثة أجزاء. في الجزء الأول يتم اختيار موضوع من آيات القرآن الكريم وتفسيره. وفي الجزء الثاني يكون البحث في ضوء الأحاديث النبوية المختارة. أما الجزء الثالث فيأخذ فقرة من الكتاب المقدس (الإنجيل)ويفسرها. كما يتم الرد على الأسئلة المتعلقة بالموضوع في نهاية البرنامج. وناقشت جلسة الشهر الماضي موضوعات مثل "العوذ بالله" و"العمل الصالح" و"النظر في النفس" و"إقامة الصلاة". هذه الجلسة باللغة الإنجليزية. ويمكن مشاهدة تسجيل هذه الجلسة على قناة المعهد على اليوتيوب.

"العلم والحكمة مع غامدي" هو برنامج شعبي على قناة دنيا الأخبارية الباكستانية، والذي يتم بثه منذ سنوات عديدة. يتم تسجيله في دالاس ويبث أسبوعيا. وحسن إلياس، مدير الأبحاث والاتصال بمركز غامدي، يكون هو مضيفه عادةً. وفي فبراير ٢٠٢٥، تم تسجيل ٤ برامج تحت عنوان "الإنجازات الفكرية لمدرسة الفراهي" وتم بثها على قناة دنيا نيوز. ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه البرامج على قناة المعهد على اليوتيوب.

محاضرة على مبادئ تدبرالقرآن

يقوم السيد شهزاد سليم بواجب تدريس كتاب "ميزان" لغامدي باللغة

الإنجليزية ضمن "سلسلة محاضرات ميزان". وقد سجل الشهر الماضي محاضرتين باللغة الإنجليزية حول موضوع "مبادي تدبر القرآن" ضمن هذه السلسلة. ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه المحاضرات على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

الفتاوى الدينية

كثيرًا ما يتصل الناس بمركز غامدي للتعلم الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بالتطبيقات القانونية للشريعة. إنهم بحاجة إلى إرشادات عملية بشأن الزواج والطلاق والميراث وبعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الأخرى.

وصدرت الشهر الماضي ٣ فتاوى تحت متطلبات مختلفة من نفس الطبيعة. وأصدرها الأستاذ حسن إلياس في ضوء فكروآراء السيد جاويد أحمد غامدي.

الملخص لسلسلة فيديوهات ٢٣ اعتراضًا باللغة الإنجليزية

يلخص الأستاذ شهزاد سليم باللغة الإنجليزية جميع المواضيع التي تمت مناقشتها حتى الآن في سلسلة فيديوهات ٢٣ اعتراضًا. وفي الشهر الماضي، سجل شهزاد سليم محاضرتين تلخصان موضوع "الغناء والموسيقى" الذي تمت مناقشته ضمن سلسلة ٢٣ اعتراضا. ويمكن مشاهدة تسجيلات هذه البرامج على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

اسئل الدكتورشهزاد سليم

يقوم شهزاد سليم كل شهر بإجراء جلسة أسئلة وأجوبة شهرية مباشرة، يجيب فيها عن الأسئلة المتعلقة بمختلف القضايا الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تدور في أذهان الناس. في هذه الجلسة، يمكن للأشخاص طرح أسئلتهم باللغتين الأردية والإنجليزية. يمكن مشاهدة تسجيلات جلسات الأسئلة والأجوبة هذه على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

(مترجمة من الأردية)